



حوار كوني

٣ أعداد في السنة بلغات مختلفة

عدد خاص
في ذكرى مايكل بوراوي

كلاوس دور
بريجيت أولينباخر
رولاند أتمولر
فابيين ديسيو
رافائيل ديندل
كارين فيشر
جوانا غروينر
نانسي فريزر
نغاي-لينغ سوم
بوب جيسوب
هايدي جوتفريد
ميشيل ويليامز

مايكل والكارلان

جيفري بلييرز
نازائين شاهروكني
روي براغا
بافيل كروتوف
تاتيانا ليتكينا
سفيتلانا ياروشينكو
فارين بارفيز
أيلين توبال

مايكل والسوسيولوجيا
العمومية و الكونية

آري سيتاس
الشيخ محمد قيس
سيابوللا فوبوسي
ديفيد غولدرات

شهادات

قسم مفتوح
< وقت علم الاجتماع

< الافتتاحية

عدد خاص تكريمًا لمايكل بورواوي

مشكورين كل من كلاوس دورّه وبريجيت أولنباخر، وهما من المحرّرين السابقين لنشرية حوار كوني، دراسات تتناول انخراط مايكل العميق في السوسيولوجيا الماركسية، سواء من حيث صرامتها النظرية أو من حيث راهنتها العملية. وتستعيد هذه المساهمات حواراته مع «الكارلين» - كارل ماركس وكارل بولاني - واستثماره لهذه الأفكار في تحليل قضايا العمل والاستغلال والأصولية السوقية والإمكانات التغييرية لعلم الاجتماع الماركسي. وتضمّ هذه الدراسات مساهمات من نانسي فريزر وبوب جيسوب وميشيل ويليامز وغيرهم، محفّيةً بعمق رؤيته التحليلية وقدرته على وصل النظرية النقدية بالنضالات الاجتماعية المعاصرة.

أما المحور الثاني فيركّز على أعمال مايكل الرائدة في علم الاجتماع العمومي والعالمي. وتتناول المساهمات المضمّنة فيه التحديات والآفاق التي تواجه علم الاجتماع باعتباره مهنة عالمية تُصغي إلى قضايا عدم المساواة، والحركات الاجتماعية، والحوار عبر الحدود. وتبرز المقالات ابتكارات مايكل المنهجية، وإصراره على علم اجتماع منخرط في تعريف المجتمع المدني، وتأثيره في النقاشات عبر القارات - من أوروبا إلى أمريكا الجنوبية، ومن آسيا إلى أفريقيا. وتُظهر هذه المساهمات كيف شكّل عمله بوصلة وإطارًا لفهم عالم مضطرب.

يجمع ثالث المحاور الشهادات الشخصية والانطباعات الإنسانية التي تُظهر البُعد العاطفي في مسيرة مايكل العلمية والفكرية. تكشف هذه الشهادات من خلال اللقاءات والجدال وتجارب العمل الميداني، عن الدفء والتوجيه والإلهام الذي قدّمه مايكل لطلابه وزملائه وللنشاط. كما تبرز هذه الشهادات أثره في النضالات المحلية - من جنوب أفريقيا إلى بنغلاديش - وكيف ما يزال يلهم الباحثين للتفكير النقدي والعمل التغيير.

لقد ألهم مايكل رؤية لعلم الاجتماع تتسم بصرامة أكاديمية راسخة، مقرونةً بالترام عميق بمسارات التغيّر الاجتماعي. ويأتي هذا العدد الخاص احتفاءً بحياته ومسيرته العلمية الاستثنائية، مؤكّدًا تجديد عزمنا الجماعي على ترسيخ علم اجتماع عمومي وعالمي؛ علم لا يقتصر دوره على تفسير العالم وتحليله، بل يطمح كذلك إلى الإسهام في تغييره، ناشرًا بدورًا جديدة للأفكار والنقاشات والممارسات. وفي زمنٍ تتعرض فيه السوسيولوجيا، ومعها علماؤها، لهجمات متصاعدة في شتى أنحاء العالم، يزداد إلحاح الدعوة إلى صون السوسيولوجيا النقدية التي دافع عنها مايكل وجعل منها نهجًا راسخًا. ومن هذا المنطلق، يضمّ هذا العدد أيضًا «إعلان: زمن السوسيولوجيا»، الذي قدّمته الجمعية الدولية لعلم الاجتماع خلال منتدائها الخامس المنعقد في الرباط بتاريخ ٦ يوليو/تموز ٢٠٢٥.

نأمل أن تُلهم الأفكار والتأملات والأبحاث الواردة في هذا العدد علماء الاجتماع حول العالم لمواصلة بناء سوسيولوجيا عمومية عالمية وشجاعة ونقدية وتغييرية. ■

برينو برينغيل، وكارولينا فيستينا، وفيتوريا غونزاليس، المحرّر والمحرّرتان المساعدتان لنشرية حوار كوني.

بمناسبة الاحتفال بالذكرى الخامسة عشرة لتأسيس نشرية حوار كوني التي أطلقها مايكل برواوي سنة ٢٠١٠، اتفقنا معه في يناير من هذا السنة على أن يُخصّص هذا العدد لمراجعة التطورات التي شهدتها علم الاجتماع العمومي والعالمي خلال السنوات الخمس عشرة الماضية.

وقد كانت رؤية مايكل لهذا العدد الخاص رؤية طموحة، كما عبّر عنها في مراسلاته الشخصية، حيث أورد:

«برينو، أعتقد أنّها فكرة رائعة أن يكون لحوار كوني جلسة علمية خاصة في ذكرى تأسيسه الخامسة عشرة. ربّما يمكنكم إصدار عدد خاص مساهمات من مختلف المناطق (رغم أن ذلك قد يكون تحدّيًا)، أو التركيز على كبرى الإشكالات التي تواجه علم الاجتماع العمومي في هذه الأزمنة المضطربة - مثل قضايا الحرب، وتغير المناخ، واللامساواة، والإجهاد - جميعها من منظور عالمي. هناك بديل آخر، وهو دعوة أشخاص قادرين على تقديم مساهمات مميزة. كما يمكنكم توجيه دعوة للجان البحثية RCs لتقديم مقترحات. فالسما هي الحد!»

لكن القدر كان مأساويًا؛ فقد رحل مايكل في الثالث من فبراير ٢٠٢٥ إثر حادث دهس وفار. وجاءت رسائل النعي والاستذكار بعد وفاته مباشرة عميقة وصادقة. وفي الثامن من فبراير ٢٠٢٥، نظّمت الجمعية الدولية لعلم الاجتماع (ISA) فعالية عبر الإنترنت تكريمًا لذكراه. [Online Tribute in Memory of Michael Burawoy](https://www.isa-sociology.org/online-tribute-to-michael-burawoy) وخلال الأشهر الماضية، استمر زملاؤه وطلابه ونشطاء ومنظمات من مختلف أنحاء العالم يتذكرونه بوصفه عقلًا ثاقبًا ولذاكاته الحاد، وكرمه وكرهًا في عطائه، ومخلصًا في التزامه بالعدالة الاجتماعية.

لقد كان لمايكل تأثير بالغ بوصفه مُشرّفًا ومثقفًا عمومًا وعالمًا مُلهِمًا، وألهم آلاف الباحثين حول العالم. ويمتدّ إرثه الفكري من دراساته الرائدة حول العمل والمنهج الإثنوغرافي، إلى التزامه العميق بعلم الاجتماع العمومي، وبناء مجتمع عالمي من المفكرين والنشطاء الذين صاغهم إرشاده وعمله المشترك.

ومن هذا المنطلق، لم يعد هذا العدد الخاص مجرد احتفاء بأهمية علم الاجتماع العمومي، بل أصبح أيضًا تكريمًا لذكرى مايكل وإرثه الفكري. إذ نحتفي من خلاله، بالذكرى الخامسة عشرة لنشرية حوار كوني، ونتفكر في تطوّر علم الاجتماع العمومي والعالمي من خلال مسيرة مايكل وإسهاماته. وقد دعونا في هذا العدد زملاء مايكل وطلابه وأصدقاءه حول العالم لتقديم رؤاهم وتحليلاتهم وشهاداتهم الشخصية حول عمله واللحظات التي جمعتهم بهم.

تمّ تنظيم العدد حول ثلاث محاور موضوعية. يضمّ المحور الأول، الذي تولّى تحريره

< فريق التحرير

رئيسا التحرير: برينو برينغيل

محرران مساعدان: كارولينا فيستينا و فيتوريا غونزاليز

محرر مشارك: كريستوفر إيفنز

مدير التحرير: لولا بوسوتيل، أوغست باغا

مستشارون: كلاوس دوري، بريجيت أولينباخر

محررون إقليميون:

العالم العربي: ساري حنفي (لبنان)، فطيمة الرضواني، (تونس) صفوان الطرابلسي (تونس) سوار الهزالي (تونس)

الأرجنتين: ماغdalena ليومس، خوان باريكو، دانتي مارخيسوس

بنغلاديش: حبيب الحق خوندكر، خيرول تشودري، بيجوي كريشنا بانيك، الشيخ محمد كايس، محمد عبد الرشيد، محمد جاهير الإسلام، هلال أودين، مسودور رحمن، راسل حسين، ياسمين سلطنة، محمد شاهد الإسلام، فارهين أكثر بويان، ساديا بنت زمان، محمد نسيم الدين، إكرامول كبير رنا، علمغير كبير، تسليمة نسرين، سورايا أكثر، عائشة صديق هميرة، نوسانتا أودري، س. محمد شاهين

البرازيل: فابريسيو ماسيل، أندريزا غالي، خوسيه غويرادو نيتو، جيسيكما مازيني مينديز، كارين باسوس

فرنسا/إسبانيا: لولا بوسوتيل

الهند: رشمي جين، مانيش ياداف

إندونيسيا: هاري نوغروهو، فينا إيترياتي، إنديرا راتنا إيراواتي باتيناساراني، نورول عيني، لوسيا راتي كوسوماديوي، روسفاديا ساكتياني جاهيا، أريو سيتو، أديتيا بيردانا سيتيايدي، دومينغوس إلسيد لي، بنديكتوس هاري جولياوان، محمد شهاب الدين، غريغوريوس راجيل وياوانتو، هارماتيو براديجتو أوتومو

إيران: ريهان جوايدي، نيايش دولاتي، إلهام شوشتارزاده، علي راغب

بولندا: ألكساندرا بېرناكا، آنا تورنر، جونا بيدناراك، سيباستيان سوسنوفسكي

روسيا: إيلينا جدرافوميسولوا، داريا خلودوفا

تايبان: وانجو لي، يون-هسوان تشو، زي هاو كيرك، مارك بي-وي لاي، يون-جو لين، تاو-يونغ لو، تشين-ينغ تشين، يو-وين لياو، في لي

تركيا: غول سورباسيغلو

يُقدِّم القسم الموضوعاتي المُخصَّص لعلم الاجتماع الهندي بعض النقاشات حول إحدى أكثر الأوساط السوسولوجية حيويةً في العالم.

يستكشف القسم (مايكل و«الكارلان»)، الذي حرَّره كلاوس دورّه وبريغيت أولنباشر، انخراط مايكل في الماركسية السوسولوجية.



يركّز القسم الموضوعاتي الثاني على عمل مايكل الريادي في السوسولوجيا العامة والسوسولوجيا العالمية.



يجمع القسم الأخير شهادات شخصية وتأملات فكرية، مُبرزًا البعد الإنساني في إنتاج مايكل العلمي.

صورة الغلاف: مايكل بوراوي من الجامعة الأوروبية في سانت بطرسبرغ، ٢٠١٥.
الصورة من تاتيانا ليتكينيا.



تصدر حوار كوني بفضل الدعم السخي لمنشورات
سايج (SAGE Publications)

< في هذا العدد:

الافتتاحية: عدد خاص تكريمًا لذكرى مايكل بوراوي ٢

< مايكل والكارلان

الماركسية السوسيولوجية: ما الذي بقي علينا إنجازه؟

بقلم كلاوس دوز، ألمانيا ٥

مقاومة الاستغلال وأصولية السوق

بقلم بريغيت أولنباشر، رولاند أتمولر، فايين ديسيو، رافاييل دايندل، كارين فيشر،

وجوهانا غروبز، النمسا ٧

إلى مايكل بوراوي: تقدير وإشادة

بقلم نانسي فريزر، الولايات المتحدة ٩

علم الاجتماع العمومي لدى مايكل واقتصاد الانتباه

بقلم نغاي-لينغ سوم وبوب جيسوب، المملكة المتحدة ١١

مايكل بوراوي المتحرر من القيود

بقلم هايدي غوتفريد، الولايات المتحدة ١٣

شجرة الماركسية السوسيولوجية لدى مايكل بوراوي

بقلم ميشيل ويليامز، جنوب أفريقيا ١٥

< مايكل والسوسيولوجيا العمومية و الكونية

مايكل بوراوي: بوصلة لعلم الاجتماع في عصرنا

بقلم جيفري بلايرز، بلجيكا ١٨

مايكل بوراوي: علم الاجتماع بوصفه مهنة

بقلم نازانين شاهركني، إيران/كندا ٢٠

مايكل بوراوي: بين الماركسية الصامدة وعلم الاجتماع العمومي

بقلم روي براغا، البرازيل ٢٣

بوراوي وصناعة علم الاجتماع العمومي العالمي: حوارات مع روسيا

بقلم بافيل كروتوف، الولايات المتحدة؛ تاتيانا ليتكينيا وسفيتلانا ياروشينكو، روسيا ٢٥

مايكل بوراوي: علم الاجتماع العمومي وتفاوت الإرادة

بقلم فارين بارفين، الولايات المتحدة ٢٨

عملية العمل وإنتاج الهيمنة: إسهامات بوراوي

بقلم أيلين توبال، تركيا ٣٢

< شهادات

لقاءات وسجلات مع مايكل بوراوي

بقلم أري سيتاس، جنوب أفريقيا ٣٦

مايكل بوراوي: منارة هادية

بقلم شيخ محمد كايس، بنغلاديش ٣٨

تكريم مايكل بوراوي: عدسة ماركسية على صناعة سيارات الأجرة الصغيرة في جنوب

أفريقيا

بقلم سيابوليل فوبوسي، جنوب أفريقيا ٤٠

الجدول الدوري ليوتويا ممكنة

بقلم ديفيد غولدرات، المملكة المتحدة ٤١

< القسم المفتوح

زمن السوسيولوجيا

بقلم الجمعية الدولية لعلم الاجتماع ٤٣

”السوسيولوجيا العمومية دون بوراوي أشبه بطائر بلا جناح.

لكن لحسن الحظ، لقد علّم العديد من علماء الاجتماع الشباب كيف يطرون“
لابينوت كونوشيفتسي، كوسوفو

< الماركسية السوسيولوجية:

ما الذي بقي علينا إنجازه؟

بقلم كلاوس دورّه، أستاذ فخري، جامعة ينا – ألمانيا

يُعدّ كارل ماركس و كارل بولاني مصدرين أساسيين للإلهام في الماركسية السوسيولوجية التي طوّرها مايكل بوراوي بالاشتراك مع صديقه إيريك أولين رايت.

< الماركسية: الجذور، الجذع، الفروع

الماركسية في الموجة الثالثة على المجتمع المدني الديمقراطي خارج منطق السوق والدولة. فالسوق والدولة لن يختفيا، لكن يتوجب إخضاعهما لرقابة مجتمع مدني ديمقراطي. ثالثًا، تتصور هذه الماركسية المجتمع المدني بوصفه عالميًا و وطنيًا في الوقت نفسه، إذ إن مجتمعًا مدنيًا يتصدّى للكوارث البيئية المحدقة بالإنسانية يجب أن يحمل، في نهاية المطاف، بُعدًا عالميًا. رابعًا، تستطيع هذه الماركسية أن تستفيد من اتساع المعرفة السوسيولوجية المتضمنة في الأعمال واسعة القبول التي تنتقد السوق. خامسًا، يحافظ بوراوي على فكرة المجتمع الاشتراكي حيّة من خلال البحث عن نقاط ارتكاز لإحداث تحوّل جزئي عبر المجتمع المدني، أي أمل تحقيق «يوتوبيا واقعية». وما أنّه يكشف أشكالاّ جنينية لبدائل معيشة في شتى أنحاء العالم، فإنه، سادسًا، يطور الماركسية السوسيولوجية إلى ماركسية عالمية. وسابعًا، يتخلّى منهجيًا عن اليقينيّات النظرية والأوامر العملية، ساعيًا لاختبار توازنات جديدة بين النظرية والممارسة.

< الليبرالية السلطوية

ترك لنا بوراوي، من خلال فكرته حول الاشتراكية المؤسّسة سوسيولوجيًا، إرثًا يجب أن ننهض به إذا ما أردنا تعزيز فرصة قيام مستقبل جدير بالحياة. ويبدو لي أنّ هناك ثلاث مهام مركزية في هذا الصدد. تتمثل الأولى في ضرورة تحليل الانشطارات الاجتماعية الجديدة التي تظهر استجابة لسلعة الطبيعة والمعرفة، وكذلك لعملية الاستحواذ (Landnahme) المميل للعمل والمال.

تشارف الموجة الثالثة من السوقنة على نهايتها، إذ باتت الحركات المضادة لتوسّع السوق تنبع أكثر فأكثر من دول وحكومات استبدادية. وفي الأثناء، أصبح المجتمع المدني الديمقراطي، بكل تنوّعه واستقلاله، مهّدًا أكثر من أي وقت مضى. نحن نبدأ في اختبار موجة رابعة يمكن - استنادًا إلى هيرمان هيلر، أحد منظري الماركسية في الموجة الثانية - أن نسمّيها «الليبرالية السلطوية». يُشير هذا المصطلح إلى دولة استبدادية تتخلّى تمامًا عن سلطتها الاقتصادية، ولا تعترف إلا بحرية السوق. ويبدو أننا نشهد اليوم رد فعل مماثل على التحول الاجتماعي البيئي المُثقل بالصراعات: إذ يتحرر الاقتصاد من القيود البيروقراطية، بينما تُترك حماية المناخ، إن استمرت أصلًا، لقوى السوق والابتكار التكنولوجي. تُنهي سياسات التجارة النيومركانتيلية عصر العولمة المدفوعة بالسوق، وتحل صفقات النخبة محل الدبلوماسية العابرة للحدود، ويفرغ الحكم الأوليغارشي الديمقراطي من جوهرها، وتقضي حرب ثقافية أصولية على حقوق الإنسان الأساسية، وترسخ الامتيازات الطبقية، ويتحول التمييز الجنسي والعنصرية إلى أيديولوجيا للدولة، وتخضع الجامعات، التي أسند إليها بوراوي دورًا محوريًا في مكافحة السلعة لطغيان الدولة. تتمحور

يفهم بوراوي الماركسية باعتبارها تقليدًا حيًا متجذرًا في المادية التاريخية والنزعة الإنسانية والفهم الخاص للعلاقة بين النظرية والممارسة لدى ماركس الشاب. من هذه الجذور نما الـ«جذع» العظيم للماركسية: نقد الاقتصاد السياسي الذي طوّره ماركس في رأس المال، والذي تفرّعت عنه لاحقًا فروع كثيرة تشمل الماركسية الألمانية قبل الحرب العالمية الأولى، والماركسية السوفييتية التي ترسّخت في شكل دغمائي، ثم الماركسية الغربية وماركسية العالم الثالث كردود فعل عليها. تذبل بعض الفروع وتزهر أخرى، ويتوافق كل منها مع الموجات الثلاث للسوقنة (Marketization) التي يحددها بوراوي في نقده التحليلي لبولاني المتمثلة في الموجة الأولى خلال القرن التاسع عشر، والثانية ابتداءً من سنة ١٩١٨، والثالثة التي انطلقت في سبعينيات القرن العشرين. تغدو قراءة بولاني إلى جانب ماركس ضرورية لمن أراد فهم الماركسية السوسيولوجية التي تتأمل الموجة الثالثة.

< الماركسية بعد بولاني

يقطع بوراوي مع فكرة الماركسية التقليدية التي ترى أنّ مجال الإنتاج هو المكان الذي ينبغي البحث فيه عن مقاومة الرأسمالية. فبالنسبة إلى بوراوي، يعدّ مجال الإنتاج تحديدًا المجال الذي يولد فيه القبول بالرأسمالية. ومع وجود «فائض» عالمي من قوة العمل، لا يبدو العمل شبه المحمي للعامل كاستغلال، وإنما باعتباره امتيازًا مرغوبًا بشدة. فمن الناحية الذاتية، ليس الاستغلال، رغم كونه شرطًا لا غنى عنه لتراكم رأس المال، ما يعيد تشكيل تنوّع الوجود الإنساني، بل هي تجربة «الطاحونة الشيطانية» للسوق (وفق تعبير بولاني).

< الماركسية السوسيولوجية

يضيف بوراوي إلى إعادة التفكير في الماركسية التقليدية مجموعة من الأفكار المحورية. أولًا، ينبغي للماركسية السوسيولوجية أن ترى في سلعة الطبيعة السمة التعريفية للموجة الثالثة من التمدن السوقي. ولهذا يدعو بوراوي إلى تقييد الأسواق وإلى جعل وسائل الإنتاج اجتماعية الملكية، وهو ما قد يعني توسيع الحريات الأساسية أو تقييدها في آن واحد. ثانيًا، ستركّز

”لا يمكن هزيمة الليبرالية الاستبدادية إلا إذا ظهرت بدائل موثوقة داخل النظام السياسي“

< الماركسية العالمية

بصرف النظر عن المواقف تجاه هذه المقترحات، يظل تطوير ماركسية سوسيولوجية ذات هوية عالمية طموحًا لم يتحقق بعد، وهو المهمة الثالثة التي أراها محورية في إرث بوراوي. ومع وفاة مايكل الصادمة، نشهد الانحسار التدريجي لجيل من علماء الاجتماع الذين صقلتهم، أكاديميًا وسياسيًا، حركات (ما بعد) ١٩٦٨. وبطبيعة الحال، تظهر أجيال جديدة، ومن واجب علماء الاجتماع من جيلي دعم وتشجيع كل أولئك الذين يتخذون فكرة بوراوي عن الماركسية السوسيولوجية أساسًا للتفكير والتأمل. يمكننا دعم الجيل الجديد بالإنصات إليه ونقد «اللجان المركزية» الجديدة التي تدعي حقائق أبدية، وكذلك نقد فكرة «السوبرماركت الماركسي» حيث تلتقط الأفكار وفقًا لروح العصر the Zeitgeist دون الانخراط في معالجة المظالم الاجتماعية اليومية للمقهورين. باختصار، يجب أن نسعى بشكل عاجل إلى إيجاد منصات وصيغ حوار تُمكن من تبادل حقيقي يُجسّد ما تصوّره مايكل كفكرة أدائية: ماركسية عالمية تُشير إلى الطريق نحو تجاوز الرأسمالية وحروبها وكوارثها. ■

توجه كل المراسلات إلى كلاوس دورّي على العنوان التالي: klaus.doerre@uni-jena.de

يمكن للمهتمين بهذه التأملات الرجوع أحيانًا إلى نتائح مشروع التحرّر ع بر الاشتراكية الذي أنجزه المؤلف ب الاشتراك مع الطلبة وعلماء اجتماع شب اب، على الموقع الت الي:

<https://emasoc.de/sozialismus-von-unten-emanzipatorische-ansatze>

هذه الموجة الجديدة من السوقنة حول العلاقات الاجتماعية. وبما أنه يُزعم أنّ الموارد لم تعد تكفي للجميع، يصبح الحق في الحياة مقتصرًا فقط على «الأكثر إنتاجية» من سكان الكوكب؛ وذلك داخل مناطق ازدهار مغلقة بإحكام، باستخدام كل الوسائل الممكنة، أمام بقية العالم المعرض للكوارث.

< عودة المسألة الطبقيّة

في عالم تسوده الحروب والكوارث، تنبع إحدى المهام الحيوية التي تركها لنا بوراوي من فكرة عدم كفاية البحث عن بدائل ضمن بيئات النظام القديم و في تعاريفه. وبينما لا تزال هذه الجهود لبناء الاشتراكية من القاعدة مهمة، من الواضح أيضًا أنه يستحيل دحر «الليبرالية الاستبدادية» للأوليغارشيين الجدد إلا بظهور بدائل موثوقة قادرة على كسب تأييد الأغلبية داخل النظام السياسي بأكمله. وعليه، سيكون من الإهمال التخلي عن الصراع على سلطة الدولة. ولمواجهة التدمير المستمر للعقل، لا بد من إعادة عرض الاستغلال والهيمنة المتسترين وراء منطق السوق أمام الرأي العام. وتبدو لي تأملات إريك أولين رايت حول طبقية تكاملية، تربط ماركس ليس فقط ببولاني، بل أيضًا بفيدر وبوردو، فضلًا عن الأصوات الفكرية للماركسية «السوداء» والماركسية النسوية، محورية في هذا المسعى.

< مقاومة الاستغلال

وأصولية السوق

بقلم بريجيت أولينباخر، رولاند أترمولر، فابيان ديسيو، رافائيل ديندل، كارين فيشر، يوهانا جروبينر
جامعة جوهانس كيبيلر لينز، أستراليا

الرئيسي «مواجهة عالم لامتكافئ» [«Facing an unequal world»](#) في المؤتمر العالمي الثامن عشر لعلم الاجتماع في اليابان، قدّم قراءته لبولانيي راها وكذلك نتائج الخلافات والنقاشات المتعلقة بعلم الاجتماع العمومي، أي مهام علم الاجتماع في أوقات الأزمات الأساسية. أصبح التفكير في علم الاجتماع عنصراً مفتاحياً في تحليله البولانيي لأصولية السوق المعاصرة والعكس صحيح؛ مما أدّى كليهما إلى ما أسماه «علم الاجتماع العالمي البولانيي»: علم اجتماع المجتمع وفي المجتمع ولأجل المجتمع، والذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمجتمع المدني ويجمع بين المنظورات العالمية والمحلية.

< أصولية السوق باعتبارها «تجربة معاشة»

كان تأويل مايكل لـ «التحول العظيم» لبولانيي أصيلاً إلى حدّ كبير. لقد جمع بشكل مثير للإعجاب بين تفكير تاريخي وسوسيولوجي في «الحركات» و«الحركات المضادة» في القرون الماضية والحاضر، مستلهما من رؤى حول التغير التحويلي في عدّة بلدان. أحد أهمّ أجزاء نظرية مايكل البولانية في أصولية السوّقَة هو التحليل المشترك للموجات الثلاث للتسويق على المستويين الماكرو- (الكلي) والميزو- (الأوسطي)، وللسوّقَة باعتبارها «التجربة المعاشة» للناس في حياتهم اليومية. من منظور تاريخي، أشار إلى أن سلّعة السوق الأصولي لـ «سلع الوهميّة» البولانية - الأرض/الطبيعة، والعمل، والمال، والتي أضاف إليها المعرفة - آثار «حركات مضادة» في شكل نضالات من أجل حقوق العمل وحقوق اجتماعية وإنسانية، سواء كانت نضالات قائمة على الطبقة أو مطالب من أجل حماية قانونية وأطر تنظيمية.

والأهمّ من ذلك، يتيح لنا منظوره لـ «حركات المضادة» في عصرنا أن نفهم كيف تُحفّز خبرة الحياة اليومية أشكالاً مختلفة من الاحتجاج الاجتماعي. ففي أزمنة أصولية السوق، لا تؤدي السلّعة فحسب، بل كذلك سيرورات فك السلّعة، ونزعها، وإعادة سلّعتها، قد تؤدي إلى مشاكل جوهرية، لا سيّما بالنسبة لأولئك المُستبعدين من التبادل السوقي، بسبب البطالة أو في مواجهة المشاكل الإيكولوجية غير الربحية وبالتالي متغافل عنها. بعيداً عن تمجيد المجتمع المدني - لا سيّما في ظلّ تصاعد الشعبوية اليمينية - فإن الهامش المتاح لحركات العمل والحركات الاجتماعية في أوائل القرن الحادي والعشرين يمثّل، بالنسبة لمايكل، طيقاً واسعاً من «الحركات المضادة» البولانية التي تُعدّ محوريّة في التحول المستمرّ للرأسمالية.

< سوسيولوجيا الحركات الاجتماعية ولأجلها لدى مايكل

بناءً على تحليل بولانيي، يعتبر مايكل بأن السلّعة هي التجربة المحدّدة لعصرنا. إنّ الاستغلال، على الرغم من كونه جوهرياً في أي نقد للرأسمالية، غالباً لا يُدرك على حقيقته بوعي - وهي رؤية قد طوّرها مايكل في كتاب تصنيع الموافقة. [Manufacturing Consent](#) في «نظريته العامّة»، لا يُنظر إلى الموجات الثلاث للسوّقَة بمعزل عن بعضها البعض بل تُفهم على أنّها مترابطة من خلال ديناميات جدليّة - بل ربّما رجعيّة.

يست سوسيولوجيا مايكل بوراوي ماركسية وبولانيوية فحسب، بل أكثر بكثير. يتناول هذا المقال أشدّ أعماله إثارة للإعجاب وأكثرها إلهاماً، ويبلغ ذروته في تحليله للرأسمالية السوق في القرن الحادي والعشرين.

< مايكل و كارل ماركس

من الصعب تلخيص سعة أعمال مايكل وامتدادها في بضع كلمات؛ إذ قد يضع المرء بين حزمة من المسارات الشبّقة. ولا عجب أن يصف انخراطه طويل الأمد في دراسة تطوّر سيرورات العمل بأنّه «أوديسة إثنوغرافي ماركسي»، [«Odyssey of a Marxist Ethnographer»](#) أو أن يدرك دوره في تجديد الماركسية (السوسيولوجية) بوصفه «مؤولاً رَحّالاً».

يشمل منظور مايكل النظري فهماً شاملاً لنقاشات داخل الماركسية وكذلك في السوسيولوجيا (الكلاسيكية). ينخرط عمله حول سيرورات العمل، ضمن أمور أخرى، في افتراضات ماركسية حول الطبيعة المؤلّدة للأزمات في الرأسمالية، ودلالة الصراعات الطبقيّة، وإرساء هيمنة الطبقة الحاكمة داخل المصنع ومن خلاله، وشروط التحول الثوري. ومع ذلك، منذ البداية، كان توظيفه للتقليد النظري الماركسي محدداً بمقاربة نقدية لبعض الافتراضات الماركسية العامّة. أظهرت دراساته لسيرورات العمل الطرق المتغيّرة بالضرورة والتي تتحقّق من خلالها السمات البنيوية لنمط الإنتاج. لقد حالت هذه الرؤية دون أي تطبيق دغمائي للمفاهيم النظرية، سواءً في العلم أو في الممارسة السياسية. وقد استدعى منّا منظوره طويل المدى أن نتعامل مع الديناميات التحويليّة للرأسمالية.

< تكملة كارل ماركس بكارل بولانيي

أدّى التحول الأساسي للرأسمالية منذ سبعينيات القرن العشرين، الذي شخّصه مايكل على أنّه «الموجة الثالثة للسوّقَة»، [«third wave of marketization»](#) ونهاية «الاشتراكية الواقعية»، إلى تحويل نقطة تركيزه نحو العلاقة بين المجتمع والسوق. يكمن هذا التغير وراء تصوّره للماركسية السوسيولوجية، مستنداً إلى مفكرين عدّة مثل، أنطونيو غرامشي و كارل بولانيي. فبالنسبة لمايكل، الماركسية السوسيولوجية هي عابرة للقوميات، تهدف إلى دمج تجارب فكّ الاستعمار وما بعده، وتأخذ بعين الاعتبار التقسيم الأبوي للمجتمعات، وتعرّف بتنوع النضالات الاجتماعية والأشكال الممكنة لمجتمع ما بعد-رأسمالي.

يقوم طموح مايكل لإعادة تصوّر الإرث الماركسي «لعصرنا» كذلك على اعتراف بأنّ عليه التخليّ عن اليقينيّات النظرية. بدلاً من ذلك، ما نحتاجه هو حوار متكافئ بين النظرية الاجتماعية النقدية والعلم، والممارسة الاجتماعية التحويليّة.

على وجه الخصوص، منذ الأزمة المالية لعام ٢٠٠٨، استند مايكل أكثر فأكثر إلى رائعة كارل بولانيي : التحول العظيم. [The Great Transformation](#). في خطابه

”علم اجتماع عن المجتمع وفي المجتمع ومن أجل المجتمع، يجمع بين المنظورين العالمي والمحلي“

< افتقاد مايكل

كوننا مطلّعين على سوسيولوجيته لسنوات، نتطلّع من جديد إلى تعاون ثري وطويل المدى مع مايكل. نحن ممتنون للفرص العديدة التي أتاحت لنا لقائه، للاستفادة من عمله، وتبادل الأفكار والتعاون، وكذلك ممتنون لكرمه الفكري، والتزامه الأكاديمي وحسه الفكاهي التحفيزي. كأستاذ زائر في جامعتنا، ألهم مايكل تأسيس الجمعية الدولية لكارل بولاني في استراليا. وبصفته مؤسساً لحوار كوني، دعانا للمساهمة في هذه المجلة الرائعة. بوسعنا قول المزيد. لقد رحل عنا مفكّر استثنائي من مفكّري عصرنا. نفتقده. ■

توجه المراسلات إلى بريجيت أولينباخر على البريد الإلكتروني brigitte.aulenbacher@jku.at

توقع مايكل أن تلعب سلّعة الطبيعة دوراً رائداً في المرحلة الحالية. وأكد أنّ حركة مضادة فعالة من المرجح أن تظهر على الصعيد العالمي، لأنّه لا يمكن فعلياً معارضة تدمير الطبيعة ومكنات رأسمال المالي العالمية إلّا في هذا المستوى. ومع ذلك، ينبغي أن تتجاوز مثل هذه الحركة المضادة الحدود الجيوسياسية الراسخة، والقيود الوطنية، والمنطق قصير المدى الذي دَبَّرَتْهُ السُّوقُنة.

إزاء تفاؤل ساذج، دعا مايكل إلى تشاؤم لا هوادة فيه. لقد استند إلى كل من بولاني وماركس، مدمجاً مفاهيم بولاني للسلع الوهمية والحركات المضادة مع تحليل ماركسي للديناميات الرأسمالية. فقط من خلال فحص دقيق للقوى المادية الدافعة للسُّوقُنة يمكننا الشروع في تقييم ما إذا كانت الحركات الاجتماعية المعاصرة تساهم في تكثيفه، قصداً أم لا، أو تساهم في عكسه.

< إلى مايكل بوراوي: تقدير

بقلم نانسي فرايزر، المدرسة الجديدة للأبحاث الاجتماعية، الولايات المتحدة الأمريكية

الوهمية الأرض والعمل والمال إلى قيمة تبادلية وبذلك تدمر قيمتها الاستعمالية، بما في ذلك كونها شروطاً لإمكان سوقٍ للسلع الحقيقية.

بالنسبة لكلينا أيضاً، اقترحت فكرة بولاني عن «الحركة المضاعفة»، التي تضع دعاء توسيع السوق في مواجهة أنصار الحماية الاجتماعية منه، طريقة جديدة لفهم النضالات في المجتمعات الرأسمالية. وبعيدة عن نقطة الإنتاج، هذه الصراعات هي ما أسميته «نضالات الحدود» التي تعارض قواعد الحياة والتصميم المؤسسي للمجتمع، وذلك عكس توزيع فائض القيمة. بالنسبة لي ولمايكل، إذن، خدمت شخصية بولاني التغلب على الاقتصادية، مضاعفة مواقع وأشكال النشاط المناهض للرأسمالية إلى ما يتجاوز تلك المركزية إلى الماركسية الكلاسيكية.

< تأويلات متباينة: الشكوكية مقابل النفوذ والوعد

ومع ذلك، كان هناك اختلاف واحد حاسم. في حين كان لديّ شكٌ عميق في استحضر بولاني لمصطلح «المجتمع»، الذي اعتبرته جوهرياً ويطمس الهيمنة القائمة على غير السوق، فإنّ مايكل فسره بشكل إيجابي - كـ «مجتمع نشط». وهو المجتمع البولانيوي، الذي يستدعيه التطور الرأسمالي وعليه هو محدّد تاريخياً، بدا له مليئاً بالديناميكية. تنبثق منه طاقات ناشطة، وأظهرت سابقاً شكلاً جديداً للاشتركية التي يقترن فيها سوق ذاتي-التعديل مفترض بمجتمع ذاتي-التعديل بالفعل. الآن فقط، بعد أن أعدت قراءة مقالته البارزة لعام ٢٠٠٣، «من أجل ماركسية سوسيولوجية»، أدركت للتوّ القوة والوعد الذي يحمله تأويل مايكل.

< التقارب من خلال عمل غرامشي

تشتهر تلك المقالة بطرحها لفكرة التقارب بين بولاني وأنطونيو غرامشي، الذي يمثل نقطة ثانية كبرى ومرجعية شاركها مع مايكل. افترض الإيطالي هو الآخر مركزية المجتمع في الرأسمالية المتقدمة. خلافاً لبولاني، نظر غرامشي لـ «المجتمع المدني» جدلياً: كساحة للنزاع الطبقي وككايح له في آنٍ واحد. بالتحديد في المجتمعات الرأسمالية المتقدمة، المجتمع المدني هو فضاء وسيط بين الاقتصاد والدولة، مجمع للمدارس والكنائس، والمحاكم ووكالات الرعاية الاجتماعية، والجامعات ومراكز الأبحاث، والنقابات والجمعيات المهنية، والإعلام والمتاحف. هنا بالتحديد يتشكل ويروج الرأي العام والفهوم اليومية، حيث يصبح الحس العام البرجوازي مهيمنًا، وحيث تُنتزع (بدرجة أو بأخرى) موافقة المهتمين عليهم على الحكم الطبقي. لكن هذا ليس كل شيء. المجتمع المدني هو أيضاً فضاء نزاع، حيث يمكن أن تصدّع الموافقة ويمكن أن تنبني مبدئياً هيمنة مضادة. كونه ساحة احتواء ونزاع في وقت واحد، يشير إلى الاستقلال النسبي للسياسة عن الاقتصاد من جهة، وإلى انغراز الأولى في مصفوفات مؤسسية محدّدة، وميادين قوّة مشكّلة طبقياً، وملامح تاريخية. بالنسبة لمايكل، كما بالنسبة لي، كانت هذه الرؤية تأسيسية. فقد استخدم كلٌ منا على نطاق واسع طيفاً عريضاً من المفاهيم الغرامشية، بما في ذلك المجتمع المدني،

صُ دمنا جميعاً واغتممنا عند سماع خبر وفاة مايكل بوراوي المأساوية وعديّة المعنى. بالنسبة لي، جاء هذا الخبر أيضاً محمّلاً بشعور حادّ بالندم على فرص ضائعة. لطالما كنت معجبة بالمعجبة مايكل الفكرية والتزامه السياسي ودفع شخصيته. لكنني أضعت فرصة في تطوير علاقة مستدامة معه. في الواقع، كانت تفاعلاتنا متقطّعة: أولاً، في جامعة نورث وسترن، في منتصف التسعينيات، عندما كان أستاذاً زائراً وأنا أستاذ للمغادرة نحو «نيو سكول»؛ ولاحقاً، في سلسلة من المؤتمرات والندوات، حيث ناقشنا ماركس وبولاني، غرامشي ودو بويز، وكلّ ذلك كان بغاية توضيح آفاق التحوّل نحو الاشتراكية الديمقراطية. كانت كلّ من هذه اللقاءات مثمرة في حدّ ذاتها، ولكنها أيضاً كانت حبلًا بإمكانات مستقبلية. في نورث وسترن، تدخل مايكل لدعمني في لحظة صعبة وحاسمة، بما لا يمكن وصفه إلاّ بكونه فعل إيثاري من الكرم العفوي. في المؤتمرات، أشركني في نقاشات لامعة وشغيفة، دفعته للتفكير بشكل أعمق وأكثر نقدية. لم أدرك إلاّ الآن، إزاء فقده، إلى أيّ مدى كان مهمّاً بالنسبة لي. وأيضاً لم أشعر إلاّ الآن، بقدر ما فانتني لعدم سعيني إلى محاورته بشكل مستدام.

< إلهام مشترك

بالتأكيد، كان هناك الكثير ممّا يمكن مناقشته، نظرًا لما كان يجمعني مايكل. صحيحٌ أنّه كان عالم اجتماع بريطانيّ المنشأ درس أنظمة العمل في ثلاث قارات، بينما كنتُ أنا فيلسوفة أمريكية محلية نسبيًا. لكنّ كلينا من جيل طفرة المواليد ومن اليساريين الجدد، وقد وجدنا أصواتنا الخاصة في لحظة استثنائية من المدّ التحرري العالمي. ومن خلال تلك التجربة، التزم كلّ منا بتطوير ماركسيةٍ لعصر «ما بعد الشيوعية»، قادرة على أن تدمج دروساً صعبة التعلّم من تشوّهات الاشتراكية السابقة مع رؤى لا غنى عنها، وإن كانت غير متطورة، من الحركات الاجتماعية الجديدة. لكن أكثر ما يدهشني الآن هو أننا كلينا وجدنا مادةً خبئة لهذا المسعى لدى العديد من المفكرين أنفسهم.

كارل بولاني هو مثال واضح على ذلك. فقد وجدنا فيه أنا ومايكل مفكرًا يُكمل ماركس ويثريه. غير مقتنعين بمن يصوّرون «الكارلين» (ماركس وبولاني) بوصفهما متعارضين تعارضًا تامًّا، وقد طورنا بشكل مستقلّ قراءاتنا لـ التحوّل العظيم باعتباره يقدّم فهمًا موسّعة، عابرة للماركسية، وللأزمات الرأسمالية والنضال الاجتماعي.

< طرق جديدة لفهم النضالات في المجتمعات الرأسمالية

بالنسبة لكلينا، طرّح بولاني حول السلّعة الوهمية للأرض والعمل والنقد، كشف عن الجذور البنيوية في المجتمع الرأسمالي للأزمات الأيكولوجية، والمالية وأزمات إعادة الإنتاج الاجتماعي - بالرغم من بُعد الأوّلين من «الاقتصاد». لكنّ صياغة مايكل لهذه النقطة كانت فريدة من نوعها، إذ استحضرت بولانيًا غير جوهريّ النزعة، وعميق الماركسية. وحسب تعبير بوراوي، تختزل السلّعة

”من الواضح أن النخب الليبرالية تفتقر إلى الإرادة للدفاع عن النظام الذي منحها القوة في يوم من الأيام“

أمريكا عظيمة مجدداً»، بشكل نسقي، المؤسسات المركزية للمجتمع المدني الليبرالي الديمقراطي: إذ تمزق استقلالية المؤسسات التعليمية والعلمية والثقافية؛ ووسائل الإعلام المستقلة عن الدولة وأجهزة الدولة المستقلة عن الحكومة؛ والشركات الخاصة والمنظمات غير الحكومية والجمعيات المهنية. وبالتالي، من خلال تقويض القنوات «الطبيعية» للمجتمع البرجوازي لتوليد الرضا، فإنها تحول التوازن الهيميني لصالح القوة. وتغدو مرثية هذه الأخيرة واسعة الآن، سواء كواقع قاس أو كتهديد وشيك. تُعسكر الشرطة، ويُقمع الاحتجاج، ويُختطف المهاجرون في الشوارع على أيدي رجال ملثمين ويُرحلون فوراً. ويخيم الخوف على الأرض. وإذا كان هذا المشهد يبدو إلى حد كبير أشبه بفاشية ناشئة، فإنه ينذر بنوع جديد من الفاشية، يستحضر شعباً ليس لحركة اشتراكية فعلية، بل لـ «يسار ووك» («woke Left») كان متحالفاً مع النيوليبراليين ويتلقى دعماً ضئيلاً من قبل الطبقة العاملة.

< كيفية الدفاع ضد الفاشية (الأولية): تعبئة رؤى بوراوي

أين، من هذا المنطلق، يمكن أن تتركز معارضة فعالة؟ بالتأكيد ليس ضمن النخب الليبرالية. بعيداً عن القيام بدفاع ذاتي نضالي منسّق عن المجتمع المدني، فقد تخلّت الشخصيات البارزة في تلك الطبقة عن أي تفكير في العمل الجماعي وسارعت للتفاوض على صفقات خاصة. من الواضح أنهم يفتقرون للإرادة للدفاع عن النظام ذاته الذي مكّثهم ذات يوم. المعارضة الفعالة، إن حضرت، فإنها ستأتي من مكان آخر.

هل يمكن لمثل هاته المعارضة أن تأتي من الأسفل؟ هل يمكن أن تنبثق كتلة تاريخية بقيادة الفئات التابعة تكون قادرة على تشكيل معارضة ذات مصداقية للفاشية (الأولية)؟ من المفترض أن الهدف الرئيس لمثل هذه الكتلة لن يكون استعادة التوازن «غير المرضي» بين القوة والرضا الذي «عادةً» ما يقوّي السلطة البرجوازية دعماً لهيمنة الطبقة الرأسمالية. بل سيكون هدفه، بالأحرى، تجاوز مثل هاتي السلطة والهيمنة. غير أن قابلية مثل هذه الكتلة أن تحيا، تقتضي من جماهير حرجة من الدّوات التابعة من تجاوز هؤاتٍ من سوء الاعتراف السّام التي تفصل بينها اليوم— ولا سيّما الهوّات العرقية. فهل لا تزال مثل هذه السّيرورة قابلة للتصوّر؟

كان لمايكل الكثير ليقوله في هذا الشأن. إنّها لخسارة فادحة ليسار أن صوته قد غاب الآن. ومع ذلك، ولحسن الحظ، ترك لنا كنزاً غنياً من التفكير الدقيق والتخيلي الذي يمكننا الاستفادة منه. من خلال تعبئة رؤاه لتوضيح آفاق التحرر الحالية، يمكننا أن نكرّم على أفضل وجه هذا المفكر الإنساني الاعم. ■

توجّه كلّ المراسلات إلى نانسي فرايزر على frasern@newschool.edu

الدولة الموسّعة (أو المتكاملة)، الكتلة التاريخية، أزمة السلطة، الفراغ السلطوي (فترة خلّو العرش)، الثورة السلبية، التبعية، الهيمنة والهيمنة المضادة، الحس العام والحس السليم، حرب المواقع وحرب الحركة، الفورية و«الأمركة».

لقد ارتبطنا أنا ومايكل أولاً من خلال توظيفي لبعض من هذه الأفكار في مقال في مرحلة مبكرة. معتمدةً بشكل كبير على الحُدس، قد استحضرتُ، على نحوٍ شبه واعٍ، استعاراتٍ غرامشية لتحليل «نضالات من أجل الحاجات» في مرحلة متأخرة من رأسمالية دولة الرفاه الاجتماعية الديمقراطية. هذه النضالات، التي دارت في مجال لل«اجتماعي» محدّد تاريخياً، حيث أصبحت الأمور «الخاصة» سابقاً موضع نزاع. لم تقتصر هذه النضالات على إشباع الحاجات فحسب، بل شملت أيضاً تأويلها وفي أُمّاط الحكومة التي يمكن من خلالها تليتها وتدجينها داخل أجهزة الدولة. كانت أيضاً نضالات حدود، ولكنها، خلافاً لبولاني، شكّلت «حركة ثلاثية»، والتي لا تضمّ مجموعتين فحسب بل ثلاث مجموعات من الخصوم: ناشطين راديكاليين ناضلوا من أجل الطابع السياسي العام للحاجات «الهاربة» ومن أجل تصريفها بشكل تشاركي ديمقراطي؛ ومحافظين قد استهدفوا دفع تلك الحاجات مرة أخرى إلى معازل الأسرة والسوق التي سبق أن نُزِعَ عنها الطابع السياسي؛ وتكنوقراط ليبراليين تقدميين سعوا لترجمة هذه الحاجات إلى لغة إدارية وإشباعها بيروقراطياً. أدرك مايكل، بشكل أفضل وأسبق ممّا فعلت، إلى أي مدى يدين هذا الوصف لغرامشي. لقد ألهمتني مناقشته لهذا العمل عام ٢٠٠٣ للقيام بدراسة منهجية لدفاتر السجن في ندوة دراسات عليا. وأنا ممتنة لذلك إلى الأبد.

< حينها يصبح الحكم الهيميني قسرياً بدلاً من توافقي

كذلك، أدرك مايكل كم يمكن لغرامشي أن يقدّم لنا الآن، في ملمح تاريخي أكثر قتامة بكثير. في عصر يهيمن عليه الترابية (ونظيراتها العديدة عبر العالم)، من المفيد التذكير بالتباين الشيوعي الإيطالي العظيم بين العمل «الطبيعي» للحكم الهيميني في مجتمع ليبرالي ديمقراطي متقدّم، وانحدارها السياسي المرضي إلى الفاشية. تفسير مايكل لوصف غرامشي يعدّ نموذجياً. شارحاً هذا المفهوم الأخير للحكم الهيميني على أنّه مزيج متوازن من الرضا والقوة، وهو يذكرنا أن الدولة الرأسمالية في شكلها غير المرضي هي، بالنسبة لغرامشي، «مجرد الخندق الخارجي، الذي يقف خلفه» نظام قوّي من الحصون والأعمال الترابية» أي المجتمع المدني. وبقدر ما يرسخ هذا «النسق» القبول بسيطرة الطبقة الحاكمة، فإنه يقلّل من الحاجة إلى القوة المباشرة ومن مرثيتها.

اليوم، بطبيعة الحال، تتعرّض تلك الحصون والأعمال الترابية للهجوم – وليس من اليسار. ففي الولايات المتحدة، على الأقل، تُلحق دولة «ماغا» (MAGA) («اجعلوا

< السوسيولوجيا العمومية لمايكل

واقصاد الانتباه

بقلم نغاي-لينغ سوم وبوب جيسوب، جامعة لانكستر، المملكة المتحدة

كتاب «التحول الكبير» لكارل بولاني (دار بيكون برس، طبعة ٢٠٢٥)، وكتاب «تصور اليوتوبيا الواقعية» لإريك أولين رايت (دار فيرسو، ٢٠١٠).



استند مايكل إلى البحث النظري والتجريبي لـ إي. أو. رايت حول "اليوتوبيا الواقعية". حيث لا تلغي هذه اليوتوبيا الأسواق أو الدولة، بل تخضعها لتنظيم المجتمع الذاتي الجمعي. وهي تعيد المجتمع إلى الاشتراكية وتوضح كيف أنها، بصفتها حركات مضادة، تتحد من خلال مقاومتها لأشكال مختلفة من السلعة، مثال معارضة ويكيبديا لسلعة المعرفة. ورأى مايكل في الماركسية السوسيولوجية أن السوسيولوجيا العمومية مناسبة تمامًا لدراسة السلعة الوهمية وكيفية تفاعل المجتمع معها.

< اقتصاد الانتباه وعصر ترامب ما بعد الحقيقة

أكد مايكل في مقابلته الأخيرة قبل وفاته المؤسفة سنة ٢٠٢٥، على أهمية عصر ترامب. ويمكن النظر إلى هذه الحقبة كونها المرحلة الأخيرة من الموجة الثالثة للمركنة، لا سيما من حيث سلعة الانتباه. في هذه المرحلة، في هذه المرحلة، يتم توليد المعرفة القائمة على البيانات السلوكية من مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي من خلال استراتيجيات الألعاب القائمة على التحفيز، مثل الاختبارات التفاعلية، والشراكات مع المؤثرين، والعملات الافتراضية، وأنظمة النقاط الحصرية، والشبكات الاجتماعية، إلى جانب الخطابات والصور المبالغ فيها التي ترمي إلى زيادة التفاعل والارتباط بالمحتوى. حيث تُبقي هذه الممارسات المستخدمين منخرطين ومحتجزين ضمن اقتصاد الانتباه. وعلى هذا النحو، يغدو انتباه الانسان، من منظور نقدي موردًا نادرًا يمكن سلعته لاستخلاص قيمة تبادلية. حيث تتنافس الشركات و تهافت لجمع البيانات وجذب الانتباه، والتقاطه، وتصفيته،

تعد هذه المقالة تكرّجًا للفكرة المبتكرة والمؤثرة لمايكل بورواي حول "علم الاجتماع العمومي"، وتستعرض كيف يمكن تطوير هذه الفكرة لمواجهة تحديات اقتصاد الانتباه وعصر ما بعد الحقيقة في زمن ترامب. نظريًا، يميز مايكل بين ماركس وبولاني، وحاول الجمع بين عملهما وتوسيعه، لا سيما عند البحث في الموجات الثلاث لعملية المركنة، حين دراسة الرأسمالية، والسلعة، والاستغلال، والتفاوتات.

< مايكل وماركس وبولاني

كان ماركس في نظر مايكل، منظرًا لاستغلال الرأسمالية داخل عملية الإنتاج، إذ تركّز اهتمامه أساساً على الموجة الأولى من المركنة. في المقابل، كان بولاني منظرًا لمسألة السلعة داخل العلاقات السوقية، وقد تناول الموجتين الأولى والثانية. وقد لاحظ كيف أن مركنة السلع الوهمية (fictitious commodities) (قوة العمل، والمال، والأرض) — وهي سلع ليست مُنتجة مباشرة بقصد البيع رغم أن لها سعرًا — أدّت إلى فشل الأسواق ذاتية التنظيم، ودفعّت المجتمع إلى التدخل لتنظيمها بما يحفظ القيمة الاستعمالية لتلك السلع^١. وقد وسّع مايكل تحليل بولاني ليشمل موجة ثالثة من المركنة بدأت مع النيوليبرالية في ثمانينيات القرن الماضي. وشملت هذه الموجة سلعة الطبيعة، مما أدّى إلى تدهور النظم البيئية. إضافة إلى سلعة المعرفة في صورة حقوق الملكية الفكرية ونظام الجامعة.

استمر هذا الدمج الذي أقامه مايكل بين ماركس وبولاني سنة ٢٠٢٢ عندما

وتحويله إلى أرباح. وتوسّط هذا السلعة في اقتصاد الانتباه من خلال عمالقة وسائل التواصل الاجتماعي في وادي السيليكون Silicon Valley (مثل مارك زوكربيرغ من شركة ميتا). يجمع هؤلاء الفاعلون البيانات على منصاتهم، ويخزنونها في مراكز البيانات الخاصة بهم، و يتحكم هؤلاء في تصميم الخوارزميات والتقنيات القائمة على الألعاب والإقناع، والتي تهدف إلى توجيه انتباه المستخدمين وضمان بقاءه مركزاً على منصاتهم ومواقعهم الرقمية. كما يزودون المستخدمين ببعض المنتجات الإعلامية أو الاجتماعية والاقتصادية (مثل الهدايا الرقمية، والفيديوهات، و خلاصات الأخبار، والشبكات الاجتماعية) قصد إغراءهم، والتأثير في آرائهم، وربما تشكيل النتائج الاقتصادية والسياسية للأحداث.

في هذا السياق، تُؤلّد انتباهات الناس قيمةً تبادليةً، إذ يُعدّ الانتباه مورداً وعملةً فيالآن ذاته. فمن حيث صفة المورد، يغدو الانتباه مهماً في تعزيز المبيعات وفي التأثير. أم بصفته عملةً، يمكن استبدال الانتباه المعرفي والعاطفي والوجداني للمستخدمين بهدايا وخدمات تكنولوجية معينة (مثل تذاكر الفعاليات الافتراضية، والتفاعل الاجتماعي، وعمليات البحث المعلوماتي عبر الإنترنت)، و عليه، يتخلّى المستخدمون في المقابل عن بعض السيطرة على هذا الانتباه نفسه (مثل الانكشاف على الإعلانات وعلى ما يُعرف بالتغريدات السياسية السريعة) لصالح المؤثرين وتجار الانتباه. ويستمدّ هؤلاء القيمة التبادلية من خلال إعادة بيع تلك السيطرة للمعلنين الذين يدفعون وفقاً لمقدار ما يتحقّق من انتباه (مثل مدّة مشاهدة المستخدمين للإعلانات وعمقها). و بالمنحى ذاته، يستحوذ المؤثرون على انتباه الفئات المستهدفة عبر رسائل منصات إنستغرام وتيك توك وإكس والتغريدات، ساعين بذلك إلى تحويل تأثيراتهم الاقتصادية والسياسية إلى مصدر للربح.

كما تُعيد اقتصاد الانتباه تشكّل المشهد السياسي والاجتماعي. في سياق يعدّ فيه ترامب نموذجاً بارزاً للمشاهير الساعين إلى جذب الانتباه في عصر ما بعد الحقيقة، حيث أسس العلامة التجارية ترامب واستغلها لاحقاً بصفته سياسياً. وهو يستقطب الانتباه من خلال وسائل التواصل الاجتماعي (مثل فوكس نيوز، ومنصة إكس، وتروث سوشال). بوصفها أدوات خوارزمية للترشيح وغرف صدى تربط الأشخاص والجماعات ذات التوجهات السياسية المتشابهة، إذ تمكّنه هذه المنصات من تصوير خصومه في شكل كاريكاتوري، واستخدام شعارات ومقاطع خطابية تحفّز الحشود (مثل "لنجعل أمريكا عظيمة من جديد")، والتي تؤثر بسرعة في المشاعر (مثل الآمال والخاوف والقلق) لدى قاعدته الشعبية. ويُجبر مثل هذا التوجّه السياسيين الآخرين على التفاعل مع ميّماته المبسّطة وأسلوبه المسرحي، مما يمنحه القدرة على تشكيل المجالات الخطابية والعاطفية والسياسية. تؤثر إعادة هندسة التواصل السياسي هذه في عصر الانتباه في الإدراكات والانفعالات الفردية-الاجتماعية، وتسهم في استقطاب المجتمع وفق خطوط جديدة.

< السوسيولوجيا العمومية والتفكير ما بعد التخصصي عند مايكل

استجابةً لدعوة مايكل الصريحة لعلم الاجتماع العمومي، تهيئ هذه التطورات أرضاً خصبة لممارسة الحركات المضادة على المستوى العالمي في سياق الموجة الثالثة من مركنة اقتصاد الانتباه في عصر ما بعد الحقيقة. تُعدّ اليوتوبيات الواقعية حلقة الوصل بين ماركس وبولاني في هذا السياق، إذ توفر مقاومة شعبية على المستوى القاعدي تُنافس سلعة الانتباه والإدراك، مقاومة قاعدية تناهض تسليح الانتباه والإدراك، و إن كانت في الواقع لا تمتدّ دائماً إلى مستوى عالمي.

من أمثلة هذه المبادرات القاعدية ما يُعرف بـ "النشاط المناهض لسلعة الانتباه عبر المنصات اللامركزية، و«ملاذات الانتباه» الرقمية الخاصة بالتححرر من الاستخدام المفرط للتكنولوجيا على المستوى المحلي، والتي يمكن ربطها بمستويات وطنية وعابرة للحدود.

بعيداً عن قضية المقياس، يغطي تسليح الانتباه القضايا الجزئية المتعلقة بالإدراك البشري والمشاعر والانفعالات، وكذلك الأسس المؤسسية-الحاسوبية الكبرى للانتباه بصفتها مورداً وعملةً، و تحكّمها فيه من خلال إدارة المعلومات السلوكية.

قد تتطلّب منّا هذه التحولات توسيع الخيال السوسيولوجي أكثر من أي وقت مضى. وقد تضطر الجماهير المرتبطة بالحركات المضادة إلى تصوّر الحاجة لإعادة تفعيل السوسيولوجيا العمومية والسياساتية والنقدية والمهنية، فضلاً عن دمج مجالات معرفية متعددة بطرق ما بعد تخصصية لتعزيز معرفتنا الأكاديمية والجماعية، يشمل ذلك التوسع خارج نطاق علم الاجتماع والتركيز على الأفكار والروابط المستمدة من علم النفس النقدي، والدراسات البيداغوجية والتربوية، والعلوم الحاسوبية، ودراسات الإعلام، وتحليل الخطاب، والاقتصاد المغاير، والاقتصاد السياسي (الدولي).

ويهدف هذا إلى التصدي لموجة المركنة الفائقة للانتباه والإدراك، وتعزيز الانعكاسية الإستيمولوجية حول "اليوتوبيات الواقعية"، إضافة إلى تعزيز الأداء المؤسسي-الفاعلي الأكبر لهذه الحركات المضادة عبر مواقع ومستويات مختلفة. ■

توجّه كل المراسلات

إلى نغاي-لينغ سوم n.sum@lancaster.ac.uk

وبوب جيسوب b.jessop@lancaster.ac.uk

¹ يُظهر بولاني أن السلع ليست دائماً "سلعاً" بالمعنى الطبيعي حيث كانت بعض العوامل (عمل، طبيعة، المال، معرفة) من قبل تُنظّم اجتماعياً، و لا تعدّ موضوع بيع وشراء بالسوق. أي تتحولها إلى سلع "وهمية" (fictitious commodities). وهذا يدلّ على تغيّر جذري في تنظيم المجتمع. (المترجمة)

< مايكل بوراووي

المتحرر من القيود

بقلم هايدي غوتفريد، جامعة وين ستايت، الولايات المتحدة الأمريكية

يمثل كل من كتابي «الإثنوغرافيا المتحررة» (*Ethnography Unbound*) والإثنوغرافيا العالمية (*Global Ethnography*) حلقاتٍ في سلسلةٍ جينالوجية تعود جذورها إلى مدرسة شيكاغو وجامعة مانشستر. يعيد كتاب الإثنوغرافيا العالمية التفكير في معنى «الحقل»، من خلال إبراز المفارقة الظاهرة في أن تكون الإثنوغرافيا «عالمية» بينما طُورت منهجياً، في الأصل، لدراسة المحلي. وبهذا، يحزّر بوراووي الإثنوغرافيا من قيود الزمان والمكان. ثم يأخذ القراء في جولة تنظيرية مدهشة بين عدد من المفكرين، من بينهم فريدريك جيمسون، ومانويل كاستيلز، وديفيد هارفي، وأنطوني غيدنز، بحثاً عن نظرية تفسّر العولمة بالشكل الكافي. وفي هذا السياق، ينبش في الموضوعات المشتركة بينهم، ليقدم العولمة كعملية إعادة تركيب للزمان والمكان عبر آليات مثل: النزوح والانضغاط والتباعد والانحلال. ومن هذه الشذرات الموضوعية، يقوم بوراووي بتجميع العناصر اللازمة لبناء نظرية في الإثنوغرافيا العالمية.

< الماركسيات السوسولوجية

قاد الفضول الفكري المشائي مايكل في رحلات استكشافية في أعمال كبار المنظرين الاجتماعيين، بحثاً عن رؤى تُجَدّد الماركسية السوسولوجية لعصرنا. في مقالته «حكاية ماركسيّتين» *A Tale of Two Marxisms* يستعيد بوراووي الموضوعات التي طوّرها في المقارنة المباشرة بين غرامشي وبولاني. ورغم تقارب غرامشي وبولاني في استجابتهما للتناقضات والاختلالات التي تظهر في لحظات تاريخية معيّنة، فإن تعميق الحفر في أعمالهما يكشف اختلافاتٍ في التأكيدات النظرية وفي الحدود التي اصطدم بها كلّ منهما. يستعين بوراووي بـ سيمون دو بوفوار ونانسي فريزر بوصفهما شخصيتين رئيسيتين في هذه «الدراما العائلية»، ليشير إلى ثغرة نظرية يعترف بأنه لم ينجح تماماً في تجاوزها في أعماله الخاصة. فهو ينتقد كلاً من غرامشي وبولاني لعدم اكتراثهما الكافي بالبنى الداخلية للعائلة عند تحليل السياسة في المجتمعات التي وصفها. إذ ربط غرامشي، في مقالته المحورية «الأمريكانية والفوردية» وظيفة العائلة الأحادية (المونوجامية) بإدارة الإنتاج الفوري. أما بولاني فتعامله مع العائلة كحصن منيع في مواجهة تدميرية السوق وسلعة العمل. غير أنّ نسوية مايكل تقف عند عتبة العائلة، بسبب محدودية الإطار النظري الذي اعتمده لفهم البنى الجندرية وعلاقتها بالطبقة.

< المنعطف النسوي

انطلاقاً من فكر بوراوي، ينتقل نموذج الاقتصاد السياسي النسوي الأكثر قوة من الأسس الجزئية إلى البنى الكلية، ليُنظر لعملية تحويل أعمال الرعاية إلى أعمال نيوليبرالية. وترتكز إعادة النظر في فكر بولاني من منظور نسوي على فكرة أن العمل الإنجابي سلعة وهمية، وعلى

أهمتي دورة مايكل للدراسات العليا حول الإثنوغرافيا في جامعة ويسكونسن محاولاتي البحثية الأولى لدمج النسوية مع الأسس الجزئية للماركسية الغرامشية، وذلك في دراسة بعنوان: «المرونة كنظام للضبط في قطاع العمل المؤقت» *Flexibility as a Mode of Regulation in the Temporary Service Industry*. وقد تجاوز تأثيره الجانب النظري البحث، إذ قدّم لي دعماً عملياً في أولى تجاربي الإثنوغرافية. لقد كان مايكل، الذي يعمل من المنزل، بمثابة الوسيط الذي ينقل لي عروض العمل القادمة من وكالة التشغيل المؤقت. ومن هنا، يستند إسهامي في هذا العدد الخاص إلى صلة شخصية بالإضافة إلى تفاعل نقدي مع أعماله، من أجل الكشف عن الجذور الفكرية لدراساته في العمل، الممتدة من دفاتر السجن لأنطونيو غرامشي وصولاً إلى حواراته اللاحقة مع كارل بولاني.

< المنعطف الإثنوغرافي

في ما يخص هذه الجهود، من المفيد الاستشهاد بتأمّلات بوراووي حول دونالد روي، «عالم الاجتماع والعمل الكادح»، وذلك في الندوة التي عقدت بمناسبة الذكرى العشرين لكتاب صنع *التوافق (Manufacturing Consent)*. بدأ مايكل رده بأسلوب ساخر، مجادلاً بأنه «ينبغي علينا إحياء ذكرى أسلافنا، ولكن تمجيدهم ووضعهم فوق قاعدة تمثال يجمّدهم في الزمن، ويفوّت علينا رؤية ما يجعلهم مهمّين بالنسبة إلى الحاضر». وتبين العبارات الختامية في ذلك المقال، نبؤتها وعمقها، جوهر مايكل: المعلم، والناشط، والعالم. إذ قال: «لقد بدأ بوصفه عالم اجتماع يدرس العمل الصناعي، لكن انتهى به المطاف إلى أن أعاد رؤاه إلى موطنها، مستكشفاً مقاربات جديدة لعمل عالم الاجتماع».

لا يقتصر إرث مايكل على إسهاماته النظرية. فقد جمع كتابه صنع *التوافق (Manufacturing Consent)* بين دراسة حالة معقّمة للحياة اليومية من مدرسة شيكاغو وبين التقليد المادي للماركسية الغربية، ليكون استباقياً وممهّداً للمنعطف الإثنوغرافي في الماركسية. لاحقاً قام بوراووي ومجموعة من المتعاونين، في كتابي *الإثنوغرافيا العالمية (Global Ethnography)* و*المتحررة (Unbound Ethnography)*، بتجذير الممارسة الفنية للإثنوغرافيا في تاريخ محلي متعدد، من مكاتب الرعاية الاجتماعية في هنغاريا، إلى الرجال المشردين في شوارع سان فرانسيسكو، مروّراً بمطوّري البرمجيات في إيرلندا، وصولاً إلى الممرضات القادمات من كيرالا في الهند للعمل في «المدينة المركزية» في الولايات المتحدة. وقد استعانت السوسولوجيات النسويات بمنظوره الميكرو-سياسي في دراسات رائدة حول العمل العاطفي، وحول الأشكال المنتجة والمعاد إنتاجها من الذكورات والأنوثات داخل المصنع والمكتب ومشهد الخدمة.

”ماركسية اجتماعية متجددة لعصرنا“

فالأسر ذات الدخل المحدود تعتمد على عملٍ غير رسمي وغير مُسلعن، في حين تستطيع الأسر ذات الدخل المرتفع تحمّل كلفة خدمات السوق، والاستفادة بصورة أكثر مباشرة من الإعفاءات الضريبية والتحويلات النقدية، غير أنّ ذلك يعني في الغالب عملاً شديداً السلعة. وفي هذه اللحظة التاريخية، تعيد الحركات المضادة للهيمنة تخيل التنظيم الاجتماعي للرعاية والعمل الإنجابي.

< إرث دائم

تقع هذه السيرة الفكرية الموجزة في بيئة سياسية مماثلة يطاردها شبح الاستبداد. إذ تستدعي الماركسية العلمية عند بوراوي، وقد تشكّلت عبر منظور غرامشي/بولاني/نسوي، اتخاذ موقعٍ نقدي يتيح بلوغ «اليوتوبيات الواقعية» الحقيقية التي تصوّر لها صديقه ورفيقه إريك أولين رايت. ويبرز من خلال هذا الفكر، بدءاً من منطقة كوبربيلت في زامبيا أو ورشة الآلات في شيكاغو وصولاً إلى الدعوات الأخيرة لعلماء الاجتماع للتعبير عن آرائهم بشأن فلسطين، ضرورة تقديم رؤى تاريخية تكشف الصلات بين تحولات الماضي التي تشير إلى مستقبل محتمل. ■

توجّه كلّ المراسلات إلى هايدي غوتفريد على البريد الإلكتروني

Heidi.gottfried@wayne.edu

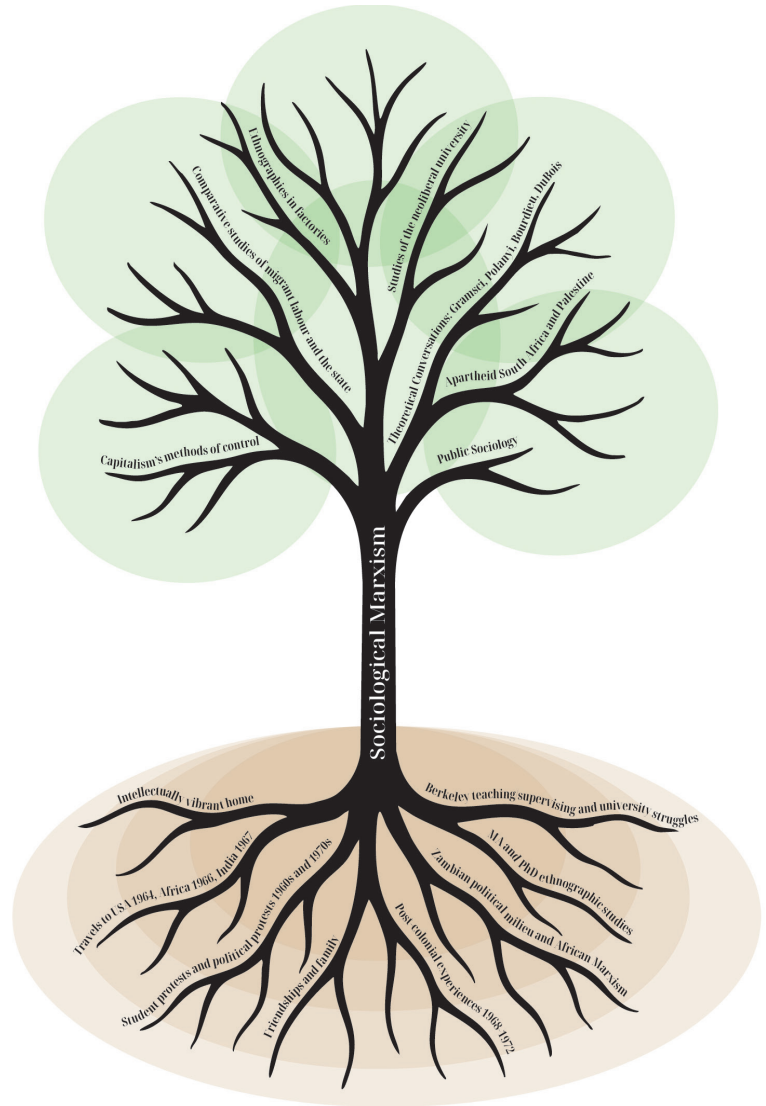
الحركة المضادة التي تقف وراء سلعة الرعاية. إذ أصبحت أعمال الرعاية، في العديد من المجالات، خاضعة للأسواق. ويؤدي تزايد سلعة العلاقات الحميمة إلى إدخال المزيد من جوانب الحياة اليومية والعلاقات الاجتماعية في السوق، حيث تندمج في دوائر رأس المال.

ينطوي التكاثر الرأسمالي على تركيبٍ معقّد تجمع بين عملٍ إنجابي مأجور مُسلعن، وعملٍ إنجابي غير مأجور غير مُسلعن، مما يضمن استدامة العمليات الحافظة للحياة. وليس العمل غير المأجور سوى عنصرٍ واحد في إنتاج الأسرة، الذي يقوم أيضاً على سلعٍ تُقتنى بالأموال المتأتية من العمل المأجور، وكلاهما شرطٌ لا غنى عنه لبقاء الأسرة في ظل النظام الرأسمالي. غير أنه يوجد تناقض قائم بين اندفاع رأس المال إلى استخلاص الربح من الأنشطة الإنجابية المسلمعة، وبين المنافع المقابلة التي يوفرها العمل غير المُسلعن من خلال تحمّله جزءاً من كلفة إعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية الرأسمالية الأبوية والمؤدّجة عرقياً. وتشكل الفوارق الطبقية، المتقاطعة مع الجندر ووضعية الهجرة، صميم ديناميات عمل الرعاية المنزلية، سواء في صيغته غير المُسلعة أو المُسلعة إذ يقوم نمطُ الخصخصة الواسعة وتسليع الأنشطة الإنجابية على الانقسام الطبقي، وغالباً ما يتقاطع مع البُعد العرقي.

< شجرة الماركسية السوسيولوجية عند مايكل بورواي

بقلم ميشيل ويليامز، جامعة ويتواترسراند، جنوب أفريقيا

شجرة الماركسية السوسيولوجية عند بورواي.
المصدر: ميشيل ويليامز



إلى جنوب أفريقيا، ومع مرور السنوات أصبح صديقا مقربا جدا، وظلّ مرشدا ومعلّما على الدوام. كان واحداً من أشدّ نقّادي صرامة، لكن، في نفس الوقت، من أكثر حلفائي دعما. ولهذا سأكون بلا شك متحيزة، في محاولتي تأطير إسهام مايكل في علم الاجتماع والماركسية عبر حياته الغزيرة بالعطاء، إذّ يعكس، ما أقدمه هنا، منظورا خاصا لطالبة وصديقة تعلّمت الكثير من

قد فقدنا في الثالث من فبراير/شباط ٢٠٢٥ الروح التي لا تعرف الكلل والعقل الاستثنائي لمايكل بورواي. فقد أنهى عمل عنيف ولا إنساني ارتكبه سائق فار في أوكلاند، كاليفورنيا، مسيرة هذا العالم الأسطوري. كان مايكل المشرف على رسالتي الماجستير والدكتوراه اللتان أنجزتهما بين عامي ١٩٩٥ و ٢٠٠٥. كما كان يزورني بانتظام بعد أن غادرت بيركلي وانتقلت

معلّمها ومرشدها. فقد كان يجد دائما سبلا لتحسين كل ما أقدمه ليقراءه، وأنا على يقين بأن هذا النض ليس استثناء، وإن كنت آمل أن يتسم إعجابا بفكرة «شجرة الماركسية السوسيولوجية عند بوراوي» التي اقترحتها.

< جذور الشجرة

كان مايكل بوراوي نموذجاً نادراً من الباحثين، لما اتّسم به من التزام راسخ لا يلين طيلة حياته بكل من علم الاجتماع والماركسية. وقد سخر ذكائه الفذ في كلا المجالين، ونجح في إيجاد سبل لدمجها بطرائق بالغة الخصوبة والابتكار. ويعود هذا الالتزام المزدوج، جزئياً، إلى سيرته الشخصية. فقد وصل مايكل إلى علم الاجتماع والماركسية عبر تجربة معيشية عميقة، انغrust آثارها في إحساسه بالعدالة وفي افتتانه بالعالم الاجتماعي. كان والداه يهوديان روسيان غادرا روسيا إلى ألمانيا في عشرينيات القرن الماضي، حيث حصلوا على درجتي الدكتوراه في الكيمياء، ثم غادرا ألمانيا إلى إنجلترا في ثلاثينيات القرن نفسه مع صعود هتلر إلى السلطة.

كان منزل والديه فضاء نابضا بالحياة الفكرية ومشعباً بالانخراط السياسي. وفي صيف عام ١٩٦٤، أبحر بوراوي عبر المحيط الأطلسي على متن سفينة شحن نرويجية، وقضى ذلك الصيف متنقلاً في أنحاء الولايات المتحدة، يبيع الكتب لصالح بائع كتب نيويورك. كان البلد يغلي بطاقة اجتماعية كثيفة: حركات حرية التعبير وحركات الحقوق المدنية والاحتجاجات المناهضة لحرب فيتنام والانتفاضات الحضرية. غرست تلك الرحلة، في روح فتى في السابعة عشرة من عمره، بذور خيال سوسيولوجي أخذ يجد مراسيه خلال السنوات اللاحقة، أثناء تجواله في الهند متنقلاً في قطارات الدرجة الثالثة وفي رحلاته عبر إفريقيا متنقلاً بالاعتماد على التوصيل المجاني (hitchhiking).

عمل بوراوي بعد تخرّجه من جامعة كامبريدج بشهادة في الرياضيات كصحفي، في جوهانسبرغ بجنوب أفريقيا، ثم انتقل، بعد ستة أشهر، إلى زامبيا التي كانت قد نالت استقلالها حديثاً، أين اشتغل في إدارة الموارد البشرية بشركة كبرى متعددة الجنسيات، تعمل في مناجم النحاس. كانت جنوب أفريقيا آنذاك مشحونة بطاقة سياسية متقددة، على نحو مشابه للحيوية الاجتماعية التي عاشها في صيف عام ١٩٦٤ في الولايات المتحدة، تعج بالتحريض والنضال ضد نظام الفصل العنصري وبكفاحات مناهضة للاستعمار.

تعرف بوراوي على الماركسية وديناميات ما بعد الاستعمار وتقاطعات الطبقة والعرق في زامبيا. وتبلورت رحلته نحو علم الاجتماع والماركسية حين التحق ببرنامج ماجستير في علم الاجتماع بالجامعة في نفس البلد. وقد أتاح له قسم علم الاجتماع، الذي كان يضم ثلاثة أعضاء فقط، التعرف على الماركسية ومنهج «الحالة الممتدة» (The Extended Case Method) والإثنوغرافيا، وصيغ تحليل العرق، والطبقة والطائفة. وهكذا أدرك قوة علم الاجتماع والنظرية الاجتماعية في فهم العالم وترسخ حبه للاختصاص. فقد وفر اقتران علم الاجتماع بالماركسية، بالنسبة لبوراوي، أدوات قوية لفهم العالم ووضع الأسس اللازمة لتغييره نحو الأفضل.

وبالفعل، تشكل لديه خلال رحلته الشخصية في اكتشاف العالم ذلك الوفاء الراسخ لكل من علم الاجتماع والماركسية. أدخل علم الاجتماع في حوار حي مع الماركسية، ليفتح أفقا جديدا فيما يعرف بالماركسية السوسيولوجية وهي فرع غير عقائدي من هذه الأخيرة، يضع المجتمع إلى جانب الدولة والاقتصاد في مركز التحليل. ولم يحد بوراوي يوما عن هذا المسار رغم صبره المحدود إزاء الاستعراض الخطابي الرائج الذي صادفه كثيرا في الأوساط الأكاديمية. وأصبح، على مدى الخمسين عاما التالية، واحدا من

أهم علماء الاجتماع في جيله. كان أشياء كثيرة في آن واحد: معلماً أسطوريا ومشرفا متفانيا وصديقا وزميلا متعاطفا وماركسيا غير عقائدي وباحثا استثنائيا.

< جذع الشجرة

كان بوراوي عالم اجتماع متحمسا حماسا تبشيريا وماركسيا لامعا استحوذت عليه أسئلة المستقبلات التحررية ورغبة تحقيقها. وقد رأى دور علم الاجتماع في جعل اللامرئي مرئيا، ورأى دور الماركسية في توفير الأدوات اللازمة لفهم القوى الاجتماعية الكامنة وراء هذا اللامرئي. وقد جعله طرح الأسئلة المألوفة بطرائق غير مألوفة بالغ الابتكار. فأثناء عمله في مناجم النحاس في زامبيا، وجه اهتمامه، مثلا، إلى كيفية استجابة الإدارة للتحويلات التي فرضها الاستقلال عن التحكم الاستعماري بدلا من التركيز على كيفية تفاعل العمال معها وهو ما قاده إلى الكشف عن «حاجز اللون» الصاعد مع دخول الأفارقة إلى مواقع الإدارة. وفي مثال آخر على مقارنته غير المألوفة، طرح الأسئلة حول جدية العمال وكثافة نشاطهم بدل البحث في مقاومتهم على أرض المصنع وذلك ضمن دراسة اثنوغرافية أنجزها حول مصنع في شيكاغو سعى فيها إلى فهم أعمق للرأسمالية وآلياتها في الضبط والسيطرة.

كان بوراوي يدرك أن الماركسية ستظل قائمة ما دامت الرأسمالية قائمة. وكما تتطور الرأسمالية عبر الزمن، فإن الماركسية بدورها مطالبة بأن تعيد بناء نفسها لتجسد إشكالات كل عصر وتحدياته. وقد اتخذ هذا المنحى شكلا محددا في ماركسيته السوسيولوجية. فمن خلال استلهاه لأفكار غرامشي وبولاني، انشغل بدراسة مفاهيم تاريخية محددة للمجتمع، من أجل فهم قدرة الرأسمالية على الاستمرار من جهة واستكشاف فسحات الأمل الممكنة خارجها من جهة أخرى. وقد جعل منهجه الإثنوغرافي الأسس الدقيقة (الميكروية) للرأسمالية مرئية، بينما عمل منهج «الحالة الممتدة» الذي طوره على وصل هذه التحقيقات في العمليات الصغرى بعلم الاجتماع الكلي (الماكروي) وتوسيعها. وبذلك أدخل إلى الماركسية خصوصية تاريخية أسهمت في بلورة تقليد نظري ماركسي دينامي ومتجدد، كما أدخل إلى علم الاجتماع منهجا أنثروبولوجيا صيغ في زامبيا، أبرز الأهمية البالغة للتحقيقات السوسيولوجية الدقيقة (الميكروية) في بناء النظرية الاجتماعية.

كان فهم «المجتمع» ودوره في الرأسمالية حجر الزاوية لعلم الاجتماع والماركسية. ويوضح في مقالته الصادرة سنة ٢٠٠٣ بعنوان «الماركسية السوسيولوجية» كيف يشغل «المجتمع» الحيز المؤسسي الواقع بين الاقتصاد والدولة. وقد جادل، استنادا إلى فهم غرامشي الذي يعتبر المجتمع المدني فاعلا متاخلا مع الدولة وتصور بولاني «للمجتمع الفاعل» الذي يتغلغل في السوق، بأن الاشتراكية تقتضي إخضاع السوق والدولة لسلطة المجتمع.

< أغصان الشجرة

أعاد بوراوي صياغة الماركسية، أولا، من خلال أعماله البحثية حول أنظمة العمل وإثنوغرافيات أماكن العمل ثم عبر تحوّل إلى دراسة المجتمع المدني والحركات التي أفرزتها الرأسمالية المتقدمة. كان هذا انتقالا من دراسة الطبقة العاملة ونقطة الإنتاج إلى دراسة المجتمع المدني بوصفه المفتاح لتجاوز الرأسمالية. وبهذا ركزت المرحلة الأولى من الماركسية السوسيولوجية، لدى بوراوي، على مكان العمل وارتبطت أيضا بمنهجه الإثنوغرافي في دراسة الحالة الممتدة. إذ رأى، من خلال العمل في أرضية المصنع جنبا إلى جنب مع العمال الآخرين، كيف تولّد الرأسمالية القبول داخل بيئة العمل بينما تواصل التكيف باستمرار مع الظروف المتغيرة. كما طور بالإعتماد على عدد من المقارنات، في مناجم النحاس في زامبيا ومع

عمال الهجرة في كاليفورنيا وجنوب أفريقيا وفي المصانع في شيكاغو والمجر، ماركسية «حيّة» أسهمت في تسليط الضوء على الديناميكيات المتغيرة باستمرار للرأسمالية من خلال الأسس الميكروية في بيئة العمل.

واجه بورواي، بعد سلسلة من الدراسات الإثنوغرافية المحبطة في روسيا وأواخر الثمانينيات وأوائل التسعينيات، أسئلة حول تفهقر الاشتراكية إلى الرأسمالية بدلا من تطوّر الرأسمالية إلى الاشتراكية. كان سقوط الاتحاد السوفييتي نقطة تحوّل بالنسبة له، إذ وضع أدوات المصنع جانبا وانتقل من الأساليب الإثنوغرافية إلى الانخراط النظري في الماركسية. بدأ بالتفكير من خلال الماركسية السوسيولوجية وانخرط بعمق في مشروع «اليوتوبيا الواقعية» لإيريك أولين رايت. ثم انتقل إلى مناقشات بين الماركسية وعدد من العلماء: غرامشي وبولاني وبورديو ودو بوز. ومع صعود النيوليبرالية وظهور جيل جديد من حركات المقاومة، أدرك بورواي أهمية النضالات التي تتجاوز نطاق مكان العمل.

وهكذا، شكّلت مغامراته النظرية انتقالا من نقطة الإنتاج إلى المجتمع المدني بوصفه موقعا مهما ظهر فيه فاعلون تاريخيون جدد. ويقدم مايكل ليفين (في مقالته لعام ٢٠٢٥ بعنوان «مايكل بورواي: ماركسي سوسيولوجي») طرعا مشابها من خلال إظهار أن تدخلاته النظرية قادت بورواي إلى مسارات فرعية مثيرة أعادت بناء الماركسية. في ذلك الوقت طوّر بورواي «شجرة الماركسية» حيث يمثل ماركس وإنجلز جذع الشجرة الذي تنبثق منه عدة فروع: الماركسية الألمانية، والروسية والسوفييتية والغربية وماركسية العالم الثالث وباكونين والنقابية الأناركية والديمقراطية الاجتماعية. استخدم مجاز الشجرة ليبيّن تطوّر الماركسية وكذلك الطريقة التي تذبذب بها بعض الفروع بينما تنمو فروع أخرى.

ومع صعوده إلى قمة حقل علم الاجتماع، أولا كرئيس لقسم علم الاجتماع في بيركلي ثم كرئيس للجمعية الأميركية لعلم الاجتماع ثم كرئيس للجمعية الدولية لعلم الاجتماع، حوّل بورواي تركيزه نحو الجامعة النيوليبرالية وعلم الاجتماع بشكل أكثر تحديدا. ومرة أخرى، كان للتأثير جنوب أفريقيا عليه دور بارز في هذا التحوّل، إذ طوّر أفكاره حول علم الاجتماع العمومي. ففي زيارته المنتظمة إلى جنوب أفريقيا خلال تسعينيات القرن الماضي والعقد الأول من الألفية الجديدة، واجه بورواي سوسيولوجيا جديدة نابضة بالحياة، متورّطاً بعمق في المجتمع المحيط به. إن المقارنة بين علم الاجتماع في الشمال العالمي ونظيره في الجنوب العالمي دفعته إلى تطوير عرض تخطيطي لأربعة أنواع من علم الاجتماع: العمومي والنقدي والمهني والسياسي. وبالنسبة له كان علم الاجتماع العمومي الأهم من بينها والأكثر مركزية في عملية التحوّل الاجتماعي. وضع بورواي علم الاجتماع العمومي كحاجز أساسي للتفاعل مع المجتمع المدني في مواجهة صعود النيوليبرالية (التي أشار إليها بموجة السوق الثالثة) وللإعتراف بأهمية الدولة القومية. كما دعا إلى تطوير علم اجتماع عالمي ينبع من

المحليّات لكنه في الوقت نفسه يشير إلى البعد العالمي.

< شجرة الماركسية السوسيولوجية عند بورواي

ربما يمكننا تصوير الرحلة الفكرية الاستثنائية لبورواي بأفضل طريقة من خلال شجرته وتطبيقها على الماركسية السوسيولوجية بموازاة شجرة الماركسية التي وضعها هو نفسه سابقا، إذ نعى بورواي جذوره السوسيولوجية والماركسية انطلاقا من جسم معرفي هائل. وبهذا يشكّل منزل طفولته المفعم بالحيوية الفكرية وسنواته الأولى من السفر إلى الخارج ولقائه مع مجتمعات ما بعد الاستعمار وعلم الاجتماع المنخرط والماركسية الأفريقية في زامبيا والاحتجاجات الطلابية والسياسية والتعليم بوصفه قوة تحويلية وطرائق البحث الإثنوغرافي ومنهج الحالة الممتدة والدراسات المقارنة وقوة النظرية الاجتماعية وفهم قوى الرأسمالية، جذور شجرته.

نمت الجذور لتُشكّل جذع الماركسية السوسيولوجية. ومن هذا الجذع تفرّعت أغصان قوية تضمّنت دراسات حول القوى الميكروية في المصانع في زامبيا وشيكاغو والمجر وأبحاثاً حول العمالة المهاجرة والدولة ونقاشات نظرية مع غرامشي وبولاني وبورديو ودو بوا ودراسات عن الجامعة النيوليبرالية وتحليلات مقارنة لنظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا وفلسطين، إضافة إلى علم الاجتماع العمومي (انظر المخطط).

لم ينظر بورواي إلى الماركسية بوصفها نموذجاً ثابتاً، بل باعتبارها تقليداً نظرياً متطوراً يساعد في إلقاء الضوء على تحقيقات محدّدة حول كيفية عمل الرأسمالية ووسائلها في السيطرة. وبهذه الطريقة، تغدو الماركسية السوسيولوجية حيّة، كشجرة تنمو وتتفرّع باستمرار، تتولّد منها أفكار جديدة على الدوام، وتُعاد من خلالها قراءة التحليلات السابقة وإعادة تشكيلها.

وعلى الرغم من أنني حاولت في هذا المقال القصير تصوير المساهمة الاستثنائية التي قدّمها بورواي للماركسية السوسيولوجية، فإنني لا أزال ألمس السطح فقط. فهناك الكثير مما يمكن استلهاه من كتاباته الغزيرة. وبالنسبة لأولئك الذين حالفهم الحظ بأن يكونوا طلابه أو زملاءه، فإن تعليمه الاستثنائي وتوجيهه وإشرافه قد ترك لنا دليلاً ملهماً وجسماً معرفياً مذهلاً يمكن الرجوع إليه والاستفادة منه.

شكر خاص لجوآن موريسون على المساعدة في مخطط الشجرة، ولقيشواس ساتغار وبيتر إيفانز على تعليقاتهم حول هذا المقال. ■

توجه جميع المراسلات إلى ميشيل ويليامز على العنوان التالي:

michelle.williams@wits.ac.za

< مايكل بوروواي: بوصلة لعلم الاجتماع في عصرنا الراهن

بقلم جوفري بلايرز، الصندوق الوطني البلجيكي للبحث العلمي (FNRS) وجامعة لوفان الكاثوليكية في بلجيكا،
ورئيس الجمعية الدولية لعلم الاجتماع (ISA) للفترة ٢٠٢٣-٢٠٢٧

شيكاغو، أين حصل على درجة الدكتوراه بعد إعداد رسالة دكتوراه تناولت العمال الصناعيين في شيكاغو، والتي نُشرت لاحقاً كأهم إسهام له بعنوان *Manufacturing Consent: Changes in the Labor Process under Monopoly Capitalism* (دار نشر جامعة شيكاغو، ١٩٧٩). كما أجرى مايكل بحوثاً ميدانية موسعة مماثلة في المصانع في المجر وفي روسيا بعد الحقبة السوفيتية.

مع تزايد اعتماد الرأسمالية والاستغلال على سلعة المعرفة، قام مايكل بتحليل أثر السياسات النيوليبرالية في التعليم العالي، وكيفية حصر إنتاج المعرفة في خدمة توسيع نفوذ السوق والدولة. وناصر علم اجتماع عمومي يهدف إلى إنتاج معرفة مرتبطة بالمواطنين والحركات الاجتماعية والمجتمع المدني.

ترك مايكل، أستاذ علم الاجتماع في جامعة كاليفورنيا، بيركلي، لمدة ٤٧ سنة، أثراً لا يُحصى في أجيال من الطلاب. و هو مسافراً جال أصقاع الدنيا. أسس مايكل مجتمعاً كونياً من علماء الاجتماع الملتزمين بالبحث والتحليل الرامي إلى فهم العالم وتوفير أدوات لتغييره. نال سنة ٢٠٢٢ درجة الدكتوراه الفخرية من جامعة جوهانسبرغ، وعلى جائزة W.E.B. Du Bois لمسار التميز البحثي من الجمعية الأمريكية لعلم الاجتماع سنة ٢٠٢٤.

ستظل بصمته بارزة طويلة الأمد من حيث الطرائق التي نعتمدها في فهم علم الاجتماع وادراك دوره في المجتمع. حيث تجسّد أعماله كيف يمكن للبحث التجريبي الدقيق أن يُثري النقاشات النظرية ويغذيها، والعكس صحيح. وذلك من خلال دمج المنظورات المحلية والوطنية والكونية. إذ قدّم تحليلات شاملة تتجاوب عبر التخصصات و تتناغم معها وتُثري النقاشات العامة والسياسية. وقد ناشد: «ربط البحث التجريبي بالمناظير النظرية». كان شغوفاً بالإثنوغرافيا تماماً كما كان بالشأن النظري. وقد اهتم بتحليل الفاعلين بقدر اهتمامه بالهياكل الاجتماعية، وهو ما قام به من منظور ماركسي ساهم في إعادة النظر فيه ونشره. طوال مسيرته المهنية، بدءاً من مناجم النحاس في زامبيا، مروراً بدوره الأساسي في إعادة ترسيخ مكانة دي بوز W.E.B. Du Bois كأحد المؤسسين الرئيسيين لعلم الاجتماع الأمريكي والعالمي، وصولاً إلى نضاله للدفاع عن التعليم العام المفتوح أمام الطلاب من خلفيات اجتماعية متنوعة. كان معارضاً للحيث العرقي ودرس أبعاده وتحليلاته. وكان شغوفاً بالكتب بقدر ما كان شغوفاً بالناس، هؤلاء الناس الذين قابلهم في بحوثه الميدانية، و صمن دروسه، وفي الوسط الأكاديمي، وفي حياته—أربعة مجالات لم تتمكن يوماً منفصلة في حياة مايكل وعمله. كان معطاءً في إنسانيته، وفي تدريسه، وفي عطائه العلمي إنساناً، وأستاذاً، وعالمياً.



مايكل بوروواي في ٢٨ آب/أغسطس ٢٠٢٤ في بورتو، البرتغال.
تصوير: جيفري بلايرز

غيب الموت مايكل بُورواوي بشكل مفاجئ في الثالث من فبراير سنة ٢٠٢٥.

ت نعى الجمعية الدولية لعلم الاجتماع (ISA) أحد أبرز رؤسائها تأثيراً وإلهاماً، عالم اجتماع كونياً واستثنائياً وخلاقاً، ومدافعاً عن سوسيولوجيا عمومية ملتصقة بالناس والمجتمع المدني، ومعلماً مُلهماً. أشرف على تأهيل أجيال من علماء الاجتماع وإنساناً فريداً في إنسانيته.

وُلد مايكل بُورواوي سنة ١٩٤٧ وتلقّى تدريبه الأولي كعالم في الرياضيات، حتى جالت قراءته صدفه كتاباً في علم الاجتماع بمكتبة كلية كريست في كامبريدج. أكمل درجة الماجستير في علم الاجتماع بجامعة زامبيا سنة ١٩٧٢، بالتزامن مع عمله في منجم للنحاس. ثم انتقل إلى جامعة

أهمية علم الاجتماع النقدي والعمومي في عصرنا. لقد ألهم آلاف علماء الاجتماع بتحليلاته وقناعاته، ولمسهم بلطفه وكرمه ونزاهته.»

مايكل، تركت وراءك مجتمعًا عالميًا من علماء الاجتماع في حالة حداد مفاجئ، يواجه فراغًا هائلًا. فبعد [تكريم أول عبر الإنترنت للاحتفاء بحياته وإرثه](#) الذي عقد يوم السبت، ٨ فبراير ٢٠٢٥، تم تنظيم مزيد من الاحتفاءات خلال اجتماع اللجنة التنفيذية لـ ISA في جوهانسبرغ في مارس ، وكذلك خلال المنتدى الخامس للجمعية الدولية لعلم الاجتماع (ISA) (٦-١١ يوليو) في الرباط، المغرب، إلى جانب المبادرات التي اتخذتها لجان البحث، ومجموعات العمل، والمجموعات الموضوعية التابعة لـ ISA.»

ستظل إسهامات مايكل بُوراووي تشكّل فهم علماء الاجتماع للعالم وطريقة تفاعلهم معه. ندعوكم للاستماع مرة أخرى إلى [خطاب رئاسته في المؤتمر العالمي للجمعية الدولية لعلم الاجتماع \(ISA\)](#) عام ٢٠١٤ في يوكوهاما، حيث شاركنا رؤيته العميقة حول علم الاجتماع، والحوار العالمي، والعدالة. سنفتح [النفاد إلى مقال هذا الخطاب](#) وإلى [إسهاماته الأخرى في المجلة](#).

لقد ترك مايكل إرثًا علميًا بالغ الأهمية، ولم يقتصر تأثيره على ذلك فحسب، بل كرس حياته أيضًا لتأسيس فضاءات وأدوات تجمع علماء الاجتماع، وكانت الجمعية الدولية لعلم الاجتماع إحدى أبرز هذه المبادرات. وفي ظل غيابها، يواجه المجتمع السوسيولوجي فراغًا كبيرًا، غير أن إرثه يذكرنا بأنه من خلال العمل المشترك يمكن الحفاظ على ما أسسه وتطويره، مسترشدين بقناعتنا الراسخة بأن علم الاجتماع يظل ذا أهمية بالغة في مواجهة تحديات العصر الراهن. ■

توجّه كل المراسلات إلى جوفري بلايرز على البريد الإلكتروني
Geoffrey.Pleyers@uclouvain.be

لم يكن مايكل غير تلك البوصلة التي تسترشد بها عندما يتعلق الأمر بتبياننا لأهمية علم الاجتماع في عصرنا، ولماذا تستحق السوسيولوجيا تكريس الكثير من الوقت والطاقة لممارستها وتعليمها حيث يجادل: «يساعد علم الاجتماع الطلاب على فهم كيفية كون المجتمع جماعيًا، ودور العرق، والطبقة، والجنس. فهو يعدّ الدراسة العلمية لمسألة المساواة والقمع المترتب عليها. حيث يتناول علم الاجتماع بالدرس الإقصاءات نفسها التي تروّج لها القوى المحافظة. لكننا نحن ندرسها لا لتأييدها بل للاعتراف بها والإعلان عنها، ولتحقيق فهم أعمق لكيفية مواجهتها وإبطال آثارها.» (ميامي، ١٠ مارس ٢٠٢٤).

رحل عنا مايكل في مرحلة نحن فيه بأمرّ الحاجة إلى قيادته، وطاقته التي لا تنضب، وعمله الدؤوب لمساعدتنا على فهم عالمنا المعقّد ، وإلى مثاله الملهم كمعلم استثنائي، وإلى إيمانه بعلم الاجتماع العمومي ذي الصلة بالمجتمع، وإلى انفتاحه على حوار كوني حقيقي، و إلى تحليلاته السوسيولوجية العميقة والدقيقة القائمة على شهور من العمل الميداني الإثنوغرافي في المصانع، وإلى سعيه إلى تحقيق العدالة الاجتماعية والمعرفية، وإلى نضاله الذي لا يكَل من أجل السلام والعدالة في فلسطين وفي أجزاء أخرى من العالم، وإلى طاقته الفريدة، والتزامه، وإلى حماسه الذي كان يلهب النفوس.

تركت قيادة مايكل والتزامه وشغفه أثرًا عميقًا في الجمعية الدولية لعلم الاجتماع (ISA) وفي الجماعة السوسيولوجية العالمية. سعى مايكل بصفته مؤسسًا لنشرية [حوار كوني-Global Dialogue](#)، الإلكترونية التابعة لـ ISA، والتي تحتفل هذه السنة بالذكرى الخامسة عشرة لتأسيسها، إلى: «تعزيز النقاش والحوار العالمي حول القضايا المعاصرة من خلال منظور سوسيولوجي». وبصفته نائب رئيس ISA للجمعيات الوطنية (٢٠٠٦-٢٠١٠) ثم رئاستها (٢٠١٠-٢٠١٤)، سافر حول العالم لنشر حماسه بشأن

< مايكل بوراوي:

علم الاجتماع بوصفها مهنة

بقلم نازنين شهروكني، جامعة سيمون فريزر، كندا

على أن نسأل: لمن ننتج المعرفة، ولأي غاية؟ كان نداؤه لعلم اجتماع عام دعوة لإعادة تشكيل الأسس ذاتها لما يُعتَبَر معرفة. وكما كان يقول غالبًا: علم الاجتماع العمومي ليس مَداً توعوياً؛ بل هو حوارٌ يُحدث تحوُّلاً في جميع أطرافه.

امتد هذا الالتزام إلى كيفية انخراط مايكل في الحركات الاجتماعية. لقد مارس ما نظَّر له. تتنقل بسلسلة بين قاعات الندوات وخطوط الاعتصام، بين اجتماعات الجمعية الدولية لعلم الاجتماع وأرضية المصنع. من النشاط النقابي في جنوب أفريقيا وزامبيا، إلى الحركة المناهضة للفصل العنصري، واحتلال أوكلاند، وتنظيم طلاب جامعيين، والتضامن مع فلسطين، طمس عمل مايكل الخطَّ الفاصل بين الأكاديمي والنشطي (النضالي).

كانت هذه الرؤية التحويلية لعلم الاجتماع لا تنفصل عن التزاماته المنهجية. ويعتبر المنهج الحقلي الموسَّع مركزياً في إرث مايكل الفكري: مقارنة بحثية لم تسعَ للتعميم نحو الخارج بالمعنى الاستنتاجي المعتاد. بل توسعت بدلاً من ذلك انطلاقاً من التناقضات الملاحظة في الحياة اليومية نحو فهم البنى الاجتماعية الأوسع التي تشكّلها. لم تكن الانعكاسية بالنسبة لمايكل اعترافاً، بل كانت نظرية للمعرفة.

وجد هذا الالتزام المنهجي تعبيراً آخر في أحد أبرز إسهاماته الباقية: الإثنوغرافيا العالمية، وهو مشروع تشاركيٌ بمعية تسعة من طلابه الجامعيين. قدّم الكتاب مفهوم العولمة المتجذّرة: وهو منهجٌ مميز لفهم السيرورات العالمية ليس من خلال نماذج مجردة أو تدفّقات كبرى (ماكرو)، بل من خلال تتّبع كيف انكسرت القوى العالمية، وذلك من خلال تجارب محلية محدّدة. عكست هاتان المقاربتان معاً - المنهج الحقلي الموسَّع والعولمة المتجذّرة - قناعة مايكل بأنّ النظرية ينبغي أن تُبنى من الأسفل، في حوار مع الوقائع المعاشة، مع انتباه دائم للشروط البنوية التي تجعل المعرفة ممكنة.

< تدريس علم الاجتماع، ممارسة الحوار

بالنسبة لمايكل، لم يكن التدريس تابعاً للبحث: بل كان أساساً لعلم اجتماع تحويلي. وقد رفض مراراً فكرة أنّ البيداغوجيا محايدة. فكان التدريس، شأنه شأن البحث، يتموَّضَع ضمن بنى نفوذٍ أوسع، خاصّة داخل الجامعة النيوليبرالية. في عمله العمل في الجامعة الاستخراجية، شخصّ الجامعة باعتبارها موقعاً للاستغلال، حيث غالباً ما يكون الطلاب والمدرّسون على حدٍّ سواء مغتربين عن سيرورة التعلّم. ومع ذلك، فقد كان يرى أيضاً في الصّف الدراسي إمكاناً للخيال الجذري؛ فضاءً لزراعة البحث السوسيولوجي باعتباره نقدًا ورعاية في الآن نفسه.

لم يكن مايكل بوراوي عالم اجتماع فحسب؛ كان باحثاً لعلم الاجتماع - ليس فقط من خلال إسهاماته النظرية، ولكن من خلال المؤسسات التي شكلها، والعلاقات التي رعاها، والتضامات العالمية التي نسجها. لقد حول هذا التخصص إلى مجال انعكاسي موجّه نحو الممارسة - مجال يساءل السلطة، ويضع الهوامش في مركز الاهتمام، ويصل بين النقد والخيال، بين النظرية والفعل.

وبهذه الروح، أتأمل إسهامات مايكل وأسلط الضوء على تأثيره الدائم على هذا التخصص، ومناهجه، وبيداغوجياته، ومفصلاته العالمية.

< علم الاجتماع المعيش: ممارسة مجسّدة ومنهج انعكاسي

لم يكن علم اجتماع مايكل مجرد توجّه نظري؛ بل كان ممارسة معاشة، متجذّرة في الحركة والنضال والوعي التاريخي. لخص كتابه الأخير، علم الاجتماع العام: بين اليوتوبيا و مناهضة اليوتوبيا ، عقوداً من التفكير في الالتزام المزدوج لعلم الاجتماع: نقد الأوضاع القائمة بينما ينمي الخيال بشأن بدائل مستقبلية. منح مايكل معانٍ دقيقة لهذه الدوافع المتناقضة. لم تكن اليوتوبيا بالنسبة له مخططاً لملتجّع مثالي، بل تخيلاً حوارياً وجماعياً للبدائل، وقوّة ضرورية تُبقي الفكر النقدي حيّاً. وحذّر قائلاً: «بدون اليوتوبيا، يصبح علم الاجتماع مرآة لليأس». في المقابل، كانت «اليوتوبيا المضادة» بمثابة الشكوكية «التي زال عنها السحر» (المُخبّطة) لكنها ضرورية إذ تُهدّب التفاؤل الساذج. بالنسبة لمايكل، شهد علم الاجتماع توتراً بين هذين القطبين - بين الرغبة في التحوّل والاعتراف بما يعيق هذا التحوّل. وبهذا التوتر - بين ما هو كائن وما يمكن أن يكون - صوّر علم الاجتماع كدعوة.

لقد كان في صميم مشروع مايكل نقد للتخصص في حدّ ذاته؛ وجهّد مستدام لإعادة تشكيل علم الاجتماع من الداخل. لقد تحدّى علم اجتماع الأوروبي المركزي، ومواده المرجعية المنغلقة، وإعادة إنتاجه للامتياز. وعلى الرغم من أنّه كان يقف في مركز الواجهة الأكاديمية، فإنّه عمل باستمرار على إزاحة نفسه من مركز الصدارة - مُقدِّماً إلى الواجهة فكر دو بويز (Du Bois)، والفكر النسوي، وإيستمولوجيات الجنوب العالمي. وقد اختار طوعاً أن يسكن الهوامش - دائماً ما كان يتجّه إلى الخارج وإلى الأسفل: نحو الجماعات، وأماكن العمل، وحياة أولئك الذين يخوضون تجربة الهشاشة.

في خطابه الرئاسي لجمعية علم الاجتماع الأمريكية سنة ٢٠٠٤، رسم بأسلوبه الشهير أربعة أنواع من علم الاجتماع: المهني، والسياساتي، والنقدي، والعمومي. لم تكن هذه أقساماً منفصلة، بل كانت رؤية لممارسة جدليّة متكاملة. لم يكن علم الاجتماع العمومي بالنسبة له الجناح اللينّ للتخصص، بل كان ضميره. جعل علم الاجتماع خاضعاً للمساءلة، مصراً

”كان مايكل مقتنعاً بأن النظرية يجب أن تُبنى من الأسفل، في حوار مع الحقائق المعاشة“

سائر أنحاء العالم. لم يكن علم الاجتماع العالمي بالنسبة له دراسةً للعالمي؛ بقدر ما كان عولمةً لعلم الاجتماع كتنخص معنى: إيصال الأصوات ببعضها، وإعادة توزيع السلطة، وتمكين إنتاج معرفي يكون أكثر شمولاً. لم تكن رؤيته لعلم الاجتماع العالمي استخراجية. بل على العكس، يُؤكّد على التبادل. كما كتب في عولمة علم الاجتماع: «لا يمكننا عولمة علم الاجتماع ما لم نُعولم أيضاً شروط إنتاجه».

تحت قيادته، أُطلقت حوار كوني كنشيرة متعددة اللغات، تنقل النقاشات السوسيولوجية عبر الحدود اللغوية والجيوسياسية. مترجمة إلى ١٥ لغة، تجسد النشيرة إصراره على علم اجتماع متعدّد اللغات، متعدد الأصوات، متعدد المراكز. كان يعرف أن الترجمة ليست تقنية فحسب، بل سياسية. لقد دعم مبادرات لتوسيع النطاق الإقليمي للجمعية الدولية لعلم الاجتماع، ودمقرطة هياكلها، ودعم الباحثين في بيئات هشّة سياسياً أو اقتصادياً.

أضفت زيارته لإيران عام ٢٠٠٨، والتي حظيتُ بشرف مرافقته خلالها، هذا الإيثوس (Ethos). وقد رفض أن يسمح لأنظمة التأشيرات، والعقوبات، أو القمع الحكومي - والحدود، سواء السياسية أو اللغوية أو التخصصية - بتحديد من يتفاعل معه. عندما كان علم الاجتماع الإيراني معزولاً بسبب العقوبات الدولية والقمع الداخلي، أصر مايكل قائلاً: «إذا لم يستطيعوا المجيء إلينا، يجب أن نذهب إليهم». وذهب بالفعل، مصمماً على إبقاء علماء الاجتماع الإيرانيين جزءاً من المحادثة العالمية. حيث رأى الآخرون دولة منبوذة، رأى هو مجتمعاً فكرياً. ضمنه للرؤية، والانصات، والتعلم - وموهبته في جعل جميع من حوله يشعرون بأنهم مرئيّين، مسموعين، ومقدّرين - ترك أثراً لا يُحصى بين زملائه الإيرانيين.

في إيران، تعايش دور مايكل كمحاور متعاطف مع الانجذاب المتواصل إلى الاثنوغرافي البارز بداخله. وبدلاً من حصر نفسه في جيوب طهران المريحة، لقد غامر بتجاوز التجربة المُعقّمة للعاصمة، راکباً الحافلات داخل وبين المدن الإيرانية الصغيرة. تحدّثاً قائلاً «وإلا فكيف ستتواصل مع الناس؟». ضحكنا ونحن نذكره: «مايكل، أنت لا تتحدّث كلمة فارسية واحدة!» ومع ذلك، لم تكن اللغة حاجزاً. كان لمايكل قدرة خارقة أن يسكن الأفضية، أن يمتص أنسجة الحياة المحلية ويعكسها. لم يكن أبداً مراقباً عن بعد؛ كان مشاركاً في القصص التي تنكشف من حوله. سواءً كان يتحدث مع سائق حافلة، أو يساوم بائعاً، أو يتبادل الأفكار مع أساتذة جامعيين، اخترق كلّ جدار بفضوله الحقيقي وحسّه الفكاهي المميز، مشكّلاً روابط تتجاوز الكلمات. علماً أنّ مواجهة الإثنوغرافيا لا تتعلّق بإتقان اللغة، بل بالكرامة والفضول الإنساني.

عندما سُئل عن الرسالة التي يوجّهها للرئيسين أحمددي نجاد وبوش، ردّ مايكل: «اجعلوا دراسة علم الاجتماع إلزامية على الرؤساء ١٠١». في المناخ الراهن، حيث يعتمد القادة السياسيون على نحو متزايد إلى تقليص تمويل العلوم الاجتماعية ونزع شرعيّتها، لا تبدو ملاحظته الساخرة هذه مزحة بقدر ماهي نقدًا استشرافيًا للطبيعة بين السلطة والمعرفة النقدية.

عقب زيارة مايكل، أسست الجمعية الإيرانية لعلم الاجتماع قسمًا مخصصاً لعلم الاجتماع العمومي، وهو الآن أحد أكثر فروعها حيوية

كان غالباً ما يقول: «جمهورنا الأول هم طلابنا». في نظره، كان كلّ طالب بمثابة قصة تستحق أن تُسمع، وتحدّد جدير بالاكشاف. لقد خلق مايكل فضاءً يكون التعلّم فيه جماعياً، حيث تُناقش الأفكار بحدّة ولكن بسخاء، وحيث لا تُكُدّس المعرفة أبداً بل تُشارك. أدركت، كطالبة له، أنّ أعظم هدايا مايكل كانت بناء مجتمع يمكننا فيه أن نعتز ببصيرة وإمكانات بعضنا البعض وننمّيها. لم يتعامل مع نضالاتنا الشخصية كمشتتات، وإلّا كنقاط دخول (مداخل) إلى التحليل النظري.

لقد شكّل أخلاقيات التضامن في الصفّ الدراسي؛ كان يذكر طلابه بانتظام في منشوراته، ويثمن عمل مساعدي التدريس، ويوجّههم كمفكرين لا بوصفهم مساعدين.

مما لا شكّ فيه، كان أحد أكثر المدرّسين المحبوبين في جيله. لكنّ الأهم من ذلك، أنّه أعاد تعريف ما يمكن أن يكون عليه التدريس وعلم بعض دروسه، الأكثر رسوخاً في الذاكرة، في الشارع: في الجلسات التعليمية في ساحة سبرول بجامعة كاليفورنيا، بيركلي، وعلى خطوط الاعتصام. بالنسبة له، كانت البيداغوجيا والتدريس لا تنفصلان عن الالتزام السياسي والنضال الجماعي.

بالنسبة للعديد ممّا، تلامذته، لم يُنشئ مايكل بوراوي مدرسة فكرية. بل أنشأ جماعة ممارسة؛ لا تُحدّد بالتقليد أو التلمذة، بل بالخلاف. لم يكن يريد أن يُتبع، بل أراد أن يُجادل. نحن لا نتبع جميعاً براديجماً نظرياً محدداً - ولا حتّى الماركسية، التي شكّلت عمله بعمق. ما يؤحّدنا ليس التوافق المنهجي أو التوافق الأيديولوجي، بل التوجّه المشترك نحو العالم: الإيمان بالضرورة الملحة للتفكير السوسيولوجي، وقدرته على إلقاء الضوء على ظروف حياتنا وإعادة تشكيلها. كانت سوسيولوجيته متجذّرة بعمق، ومتجاوبة مع التحديات السياسية والأخلاقية لعصره، ومسؤولة عنها. وكذلك هي سوسيولوجيتنا.

لقد ارتبط التزام مايكل بالبيداغوجيا، بوصفها عملاً، ارتباطاً مباشراً بالتزامه بالسوسيولوجيا العالمية.

< علم الاجتماع العالمي: من التضامن إلى البنية

بالنسبة لمايكل، لم تكن الجمعية الدولية لعلم الاجتماع مجرد منصة إدارية بل مختبراً لتحقيق رؤيته لعلم الاجتماع العالمي. رفض فكرة أنّ مجرد توسيع المشاركة العالمية - من خلال المؤتمرات أو الشراكات أو الاقتباسات - كاف. وبدلاً من ذلك، دعا إلى تحوّل أعمق في البنية الاستيمية للتخصص. مستنداً لمفهوم تشاكرابارتي «أقلمة أوروبا»، جادل مايكل بأنّ علم الاجتماع ينبغي أن يواجه تحيزاته الشمالية ويعيد توزيع السلطة الفكرية. لم تكن الدولة بالنسبة له تتعلّق بالاندماج في نموذج مهيم، بل بتنمية علم اجتماع حواريّ متعدّد المراكز متجذّر في الاعتراف المتبادل وفي حيوية التقاليد الوطنية.

دعا مايكل إلى تحوّل من الادمج الرأسي (العمودي) للمعرفة، حيث تُنتج النظرية في الشمال العالمي وتُجمع البيانات في الجنوب العالمي، إلى بنية تبادل أفقية، حيث تثبت فيها الإسهامات النظرية والامبريقية من

< المضيّ بالمشروع قدماً

في المشهد الراهن الذي تتعمّق فيه أوجه اللامساواة، وصعود السلطوية، والانهيّار المناخي، والنزوح العالمي، فإنّ إصرار مايكل على علم اجتماع عامّ، نقديّ، ومفعم بالأمل أصبح أكثر إلحاحاً من أي وقت مضى. علّما أنّ علم الاجتماع ينبغي أن يستجيب لظروف عصره، حيث أنّه يزدهر في لحظات الأزمات؛ ليس رغمها، بل بفضلها.

- إنّ المضيّ بإرثه قدماً يعني الحفاظ على استدامة القيم التي جسدها:
- السؤال النقدي المتجذّر في الحوار والتواضع.
 - التدريس كمجال للتحوّل المتبادل.
 - بحث يشرك جماهير عابرة للانقسامات.
 - رفض فصل التحليل عن المسؤولية.

وربما هذا هو الإرث الذي يتركه لنا في الجمعية الدولية لعلم الاجتماع: ليس مجرد مجموعة من المفاهيم أو التصنيفات، بل طريقة لممارسة علم الاجتماع تكون في آن واحد نقدية، حوارية، وملتزمة بعمق بالعالم الذي تسعى إلى فهمه. ■

توجّه كلّ المراسلات إلى نازنين شاهرونكي على: nazanin_shahrokni@sfu.ca

ونشاطاً. وقد حظيت بشرف ترجمة دعوته لعلم الاجتماع العمومي والمساعدة في تقديم المفهوم للمجتمع الأكاديمي الناطق بالفارسية. لاقى عمله صدى عميقاً: نُظمت منذ ذلك الحين العديد من الكتب وحلقات نقاش حول علم الاجتماع العمومي، وتُرجمت نصوص رئيسية، بما في ذلك مقالات مايكل ومقابلاته؛ تبنى علماء الاجتماع الإيرانيون رؤيته للبحث العلمي النقدي والملتزم؛ وبعد رحيله، أقامت الجمعية حدثاً تأييدياً خاصاً تكريماً له. أبلغت الصحف الوطنية عن إرثه، مؤكدة الأثر الدائم لزيارته وأفكاره على المشهد السوسيولوجي الإيراني.

بالنسبة لمايكل، كان علم الاجتماع العالمي ممارسة - للإنصات عبر الحدود، وللترجمة عبر الاختلاف، وللإصرار على أنّ المعرفة لا تكون عالمية حقاً إلاّ إذا تمّ تشاركها، والنضال من أجلها، وتحديثها بالسنة عديدة (التعبير عنها بعدة لغات).

< مايكل بوراوي:

بين الماركسية المرنة وعلم الاجتماع العمومي

بقلم روي براغا، جامعة ساو باولو، البرازيل

ترتبط قيم مثل التضامن والعدالة والمساواة والحرية وفقا لمايكل، دون انفصال مع الممارسة العلمية. مجادلا أن على علماء الاجتماع احتضان إمكاناتها الاستدلالية بصورة انعكاسية بدل من إنكارها. وقد انبثقت أسسه الإمبريقية والإستمولوجية من مواقع غير مألوفة بالنسبة لأكاديمي مثال منجم نحاس في زامبيا ومصنع محركات في شيكاغو ومصنع للصلب في المجر ومصنع أثاث في روسيا. ومن خلال عمله في أربع دول بوصفه مشغل آلات وعامل أفران ومسؤول عن الموارد البشرية، صقل مايكل عدسته التحليلية انطلاقا من أرضية المصنع، متناولا أربع تحولات تاريخية كبرى تتمثل في إنهاء الاستعمار في أفريقيا وترسخ الفورية وانهايار الاشتراكية البيروقراطية وصعود النيوليبرالية. وقد جمعت توليفته النظرية بين ماركسية غير تقليدية، استلهمت غرامشي وروزا لوكسمبورغ وتروتسكي وفرانز فانون، ولاحقا دلبيو. إي. بي. دو بوز Du Bois، وبين التقليد السوسيولوجي الراديكالي لدى سي. رايت ميلز وألفين غولدرن وكارل بولاني.

أطلق مايكل، في أوائل تسعينيات القرن العشرين، إلى جانب صديقه المقرب إريك أولين رايت، مشروعا طموحا لإعادة بناء «الماركسية السوسيولوجية»، بوصفها نظرية لإعادة الانتاج المتناقض للعلاقات الاجتماعية الرأسمالية. وقد سعى الاثنان إلى استعادة الإمكانات التحررية للماركسية، التي كانت قد تراجعت بعد سقوط اشتراكية الدولة. وقد وصف غوران ثيربورن هذا المسعى بأنه «أكثر مشاريع الماركسية الصامدة طموحا» في مطلع القرن الحادي والعشرين. تطوّر المشروع في اتجاهين متكاملين: مشروع رايت حول «البوتوبيا الواقعية» ومشروع مايكل حول «علم الاجتماع العمومي». وشجّع كلاهما الجماعة السوسيولوجية على الانخراط النقدي مع جماهير متعددة ومتنوعة، داخل الأوساط الأكاديمية وخارجها، بوصف ذلك جزءا من حركة أوسع من أجل التحول الاجتماعي. وقد تولّى كل منهما رئاسة الجمعية الأمريكية لعلم الاجتماع (ASA)، كما شغل مايكل لاحقا منصب رئيس الجمعية الدولية لعلم الاجتماع (ISA)، عقب حملة نشطة شملت ٤٤ دولة للترويج لرؤيته لعلم الاجتماع العمومي.

< علم الاجتماع العمومي

تصور مايكل علم الاجتماع العمومي إنعكاسيا ونقديا، موجها إلى الجماهير خارج الأوساط الأكاديمية، وملتمزا بقيم تحررية تشمل العدالة والحرية والمساواة والديمقراطية والتضامن. كان مايكل كثيرا ما يمزح قائلا: إذا كان علم السياسة يدرس الدولة وكان علم الاقتصاد يدرس السوق فإن علم الاجتماع يدرس المجتمع المدني وتناقضاته وتحدياته التاريخية. وليس من المستغرب أن يلقي علم الاجتماع العمومي صدى واسعا لدى الحركات الاجتماعية التقدمية التي تقاوم سلطنة العمل والطبيعة والنقود والمعرفة في مختلف أنحاء العالم ولا سيما بعد الأزمة المالية العالمية لسنة ٢٠٠٨. هذا كما شدد، في الوقت نفسه، على ضرورة دراسة الحركات الرجعية أيضا،

<<

تعرض مايكل بوراوي، في ليلة ٣ فبراير/شباط ٢٠٢٥، لدھس مميت من مركبة بالقرب من منزله في أوكلاند، كاليفورنيا. وقد فرّ السائق من مكان الحادث، لكن ألقى عليه القبض لاحقا. شكّل موت مايكل خسارة لأهمّ عالم اجتماع ماركسي معاصر، إذ أسهمت مسيرته الأكاديمية في إعادة موضعة الماركسية داخل الجامعة بعد انهيار اشتراكية الدولة البيروقراطية، مع الحفاظ في الآن ذاته على رابط عضوي بين النظرية ونضالات التحرر الإنساني.

تقاعد مايكل من قسم علم الاجتماع في جامعة كاليفورنيا، بيركلي، سنة ٢٠٢٣، بعد ٤٧ عاما من الخدمة المتفانية للطلاب والزلاء وكلّ من أشرف عليهم أكاديميا. وبرز، منذ سبعينيات القرن العشرين، مع نشر عمله الكلاسيكي «صناعة القبول: التغيرات في عملية العمل في ظل الرأسمالية الاحتكارية»، الذي أحدث ثورة في دراسات العمل، بوصفه أحد أعمدة الماركسية النقدية المتجذرة في الصرامة الإمبريقية والحوار المفتوح.

كان مايكل أستاذا أسطوريا طوال حياته، قادرا على أسر قاعات المحاضرات المكتظة بكاريزما وروح دعابة، مع إيلاء اهتمام شخصي لكل طالب على حدة. كان يحرس في صفه على حفظ عدد من الأسماء في كل حصة، يدونها بدهود على السبورة، ليستطيع تذكّر معظم الطلبة، إن لم يكن جميعهم، بحلول نهاية الفصل الدراسي. وتشهد روايات لا تحصى على عنايته وانخراطه ودعمه الأخوي، بصفته مشرفا أكاديميا، على أبحاث الطلبة. لقد أشرف، على مدى أكثر من أربعة عقود، على ٨٤ أطروحة، وغالبا ما كان يدمج مشاريع طلبته في مقارنات عالمية طموحة أفضت إلى أعمال جماعية مؤثرة. وكانت حلقاته الدراسية لطلبة الدراسات العليا مطلوبة بقدر إقبال الطلبة على مقرراته الجامعية. كما عكست مداومته والتزامه إحساسا عميقا بالتضامن ألهم أبحاثه وشكّل منهجه.

< رحلة مبتكرة وملهمة

يُعدّ مايكل المرجع الأبرز، في تاريخ علم الاجتماع، لما يعرف بـ «منهج الحالة الممتدة»، وهو منهج مستمد من مدرسة مانستر في الأنثروبولوجيا، وقد قام بتقعيده نظريا ضمن ماركسيته السوسيولوجية. إذ هي مقاربة صارمة للبحث الإمبريقي، أكثر من كونها أداة تحليلية، تتميز بقدرتها الفريدة على وصل الخبرات الميكروية الجزئية بالعمليات الماكروية الكلية لإعادة الإنتاج الاجتماعي والتحول. يطبّق هذا المنهج العلم الانعكاسي على الإثنوغرافيا: فيستخلص العام من الخاص وينتقل من الجزئي إلى الكلي ويربط الحاضر بالماضي استشرافا للمستقبل. حيث يبنّ مايكل، من خلاله، كيف تعكس تجارب العمّال في موقع الإنتاج البنى الاجتماعية الأوسع. وقد شدّد، بوصفه مشاركا-ملاحظا، على الأساس الأخلاقي لعلم الاجتماع الماركسي: فالتاريخ الإنساني مبني إجتماعيا ويمكن بالتالي إعادة بنائه، مثاليا، بطرق أكثر عدلا.

«التاريخ البشري هو بناء اجتماعي، وبالتالي يمكن إعادة بنائه اجتماعياً - بطرق أكثر عدلاً في الحالة المثالية»

استضافه في عدة مناسبات، كان آخرها سنة ٢٠٢٣، وحافظ معه على تعاون مثمر على جبهات متعددة. كما ترك تأثيره بصمة واضحة في مساري الفكري الشخصي، إذ وجّه عملية إعادة بناء ماركسية سوسيولوجية نقدية مركزة على البحث الإمبريقي، وساهم في صقل «منهج الحالة الممتدة» لتحليل تحولات الطبقة العاملة البرازيلية.

لقد أسهم الحوار مع مايكل بشكل كبير في تعزيز أفق علم الاجتماع العمومي داخل مشروع مركز دراسات حقوق المواطنة (Cenedic)، وهو المشروع الذي كان شيكو دي أوليفيرا Chico de Oliveira أبرز رموزه. وليس من قبيل المصادفة أن يكون شيكو من كتب مقدمة الكتاب الذي شارك مايكل في تحريره، «[من أجل علم اجتماع عمومي](#)» (Por uma sociologia pública)، إذ يجسد ذلك تقاطع تقاليد نقدية مختلفة، التأمل الماركسي في أمريكا اللاتينية وعلم الاجتماع العمومي الدولي، في أفق فكري وسياسي مشترك.

شارك مايكل، خلال زيارته الأخيرة إلى ساو باولو عام ٢٠٢٣، في حفل إطلاق كتابي «[قلق البروليتاريا الهشة: العمل والتضامن في الرأسمالية العرقية](#)» (A angústia do precariado: trabalho e solidariedade no capitalismo racial)، والذي كرّسته لتحليل تحولات الطبقة العاملة في الولايات المتحدة. وينخرط هذا الكتاب بصورة مباشرة في حوار مع ديليو إي. بي. دو بويز، عالم الاجتماع الأمريكي الأسود الذي كان قد أصبح «هوس» مايكل الفكري الأحدث، والذي كان يعدّ عنه كتابا عندما وافته المنية. لقد جدّد انخراط مايكل في فكر دو بويز إحدى الأجنداث المركزية لعلم الاجتماع العمومي الذي دعا إليه ألا و هو إعادة بناء المنهج الاجتماعي النقدي من خلال دمج التقاليد الفكرية الهامشية تاريخياً

لقد ازدهر هذا الإرث في البرازيل. فقد أسهمت مبادرات حديثة، مثل تلك التي أطلقها فريق AfroCebap، في نشر أعمال ديليو إي. بي. دو بويز باللغة البرتغالية، وإدماج فكره في العلوم الاجتماعية البرازيلية، وتوسيع الأطر التفسيرية من خلال إبراز المسألة العرقية والعلاقة التاريخية العالمية بين الرأسمالية والعنصرية. إنّ التقاطع بين أطروحات مايكل ودو بويز يعزّز علم اجتماع عمومي ذا ترابط عالمي، ويقدم للبرازيل، في نفس الوقت، إطارا تفسيرا يفتح تعميق نقد الرأسمالية العرقية عبر وصلها بالنظرية الدولية وبالتجربة التاريخية الوطنية.

< اللقاء الأخير

كان آخر لقاء شخصي لي بمايكل في جوهانسبرغ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٢٤. أوصلته حينها إلى مدخل شقة صديقنا العزيزين ميشيل ويليماز وفيش ساتاغرا، بعد أحد تلك العشاءات التي لا تنسى، والتي كان يصر دائماً على دفع حسابها. وكنت أعيش في جنوب أفريقيا لأن مايكل نبهني، قبل أكثر من عقد من الزمن، إلى الأهمية الفريدة لعلم الاجتماع الذي ينتجه ذلك البلد وهو ما سأظل ممتنا له بعمق.

ودعنا بعضنا، في ذلك اليوم، ونحن نناقش تفاصيل مشاركته المرتقبة في المؤتمر البرازيلي لعلم الاجتماع في يوليو/تموز ٢٠٢٥. كان ينوي أن يتحدث عن المجزرة المستمرة بحق الشعب الفلسطيني، وأعرب عن قلقه إزاء المناخ السياسي السائد في الجامعة إزاء تناول مثل هذا الموضوع بالغ الحساسية. وقد طمأنته بأنه سيستقبل من قبل جمهور متعطش للاستماع إليه، وللتعرف عليه على حقيقته، باعتباره أعظم عالم اجتماع ماركسي في جيله. ■

بما في ذلك القومية السلطوية التي انتشرت خلال عقد ٢٠١٠ وتغذّي اليوم اليمين المتطرف العالمي. وكان يعتقد أن علم الاجتماع العمومي ضروري لكشف البنى والعمليات الكامنة وراء هذه «الأعراض المرضية» (بتعبير غرامشي) لعملية الاستبداد المعاصر ولتقديم دعم استراتيجي لتجديد الديمقراطية.

عاد مايكل إلى بيركلي، بعد انتهاء ولايته رئيساً للجمعية الدولية لعلم الاجتماع (ISA) سنة ٢٠١٤، وتولّى رئاسة رابطة أعضاء هيئة التدريس، مدافعا عن المدرّسين المتعاقدين الذين يعملون في ظروف هشة داخل الجامعات العمومية في ولاية كاليفورنيا. كما أكد دعمه الفاعل لإضراب المدرسين المساعدين عام ٢٠٢٣ والتزامه الدائم بقضية العدالة الاجتماعية. لقد كان نشاطه السياسي واسعا ومتسقاً على امتداد حياته: دعم استقلال زامبيا وعارض نظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا وناصر النضالات النسوية ضد التحرش الجنسي في الجامعات وشارك في التعبئة المناهضة للحرب في أوكرانيا وندد بالإبادة الجماعية بحق الفلسطينيين في غزة، وهو [موضوع مقالته الذي نُشر بعد وفاته](#). لم يجمع أحد، في تاريخ علم الاجتماع العالمي، بين العمل الميداني في هذا العدد الكبير من البلدان وبين انخراط سياسي عميق في القضايا الإنسانية الأساسية كما فعل مايكل. يجب أن تخلد ذكراه بوصفه ماركسيا لا يساوم ومعلماً للتضامن وملتقفا عموميا حول علم الاجتماع إلى أداة للتحرر.

< بوراوي في البرازيل

أقام مايكل صلاته المباشرة الأولى مع الجماعة السوسيولوجية البرازيلية عام ٢٠٠٧، من خلال مشاركته في مؤتمر علم الاجتماع لأمريكا اللاتينية (ALAS) الذي عقد في ريسيفي. وفي تلك المناسبة، ألقى أيضا محاضرات في جامعات كبرى، من بينها جامعات ساو باولو وكامبيناس وبورتو أليغري وريو دي جانيرو. وكان يشغل في ذلك الوقت، منصب نائب رئيس الجمعية الدولية لعلم الاجتماع (ISA)، وكان منخرطا بنشاط في الترويج لـ «علم الاجتماع العمومي»، وهو المقترح الذي كان قد صاغه قبل بضع سنوات والذي أثّر حوله نقاش واسع منذ انتخابه رئيساً للجمعية الأمريكية لعلم الاجتماع (ASA).

منذ ذلك اللقاء الأول، أصبح مايكل يزور البرازيل بانتظام، وغالبا ما كان يدعى للمشاركة في الندوات والمؤتمرات والفعاليات الأكاديمية. وقد غدا حضوره في الجمعية البرازيلية لعلم الاجتماع (SBS) والرابطة الوطنية لبرامج الدراسات العليا والبحث في العلوم الاجتماعية (ANPOCS) علامة مرجعية، ما جعله واحدا من أكثر علماء الاجتماع الدوليين حضورا واعترافا في البلاد. طوّر مايكل، من خلال هذه المشاركات، علاقة فريدة مع علم الاجتماع البرازيلي، اتسمت بتلقي أفكاره بانفتاح وحوار مباشر مع الباحثين والمؤسسات الأكاديمية.

لم يكن الاعتراف رمزيا فقط. إذ تضع المسوحات الببليومترية المعتمدة على بيانات منصة SciELO خلال فترة ٢٠١٠-٢٠٢٤ مايكل ضمن قائمة أكثر خمسة عشر عالم اجتماع دوليين أستهشد بهم في الدوريات البرازيلية، وهو ما يبرز في آن واحد أهمية أعماله وقدرة علم الاجتماع العمومي الذي دعا إليه على التفاعل مع التقاليد النقدية البرازيلية، مسهما في ترسيخ علم اجتماع ملتزم ومتصل عالميا.

كان لحضور مايكل في البرازيل أثر مضموني حاسم في المشاريع البحثية التي طوّرها مركز دراسات حقوق المواطنة (Cenedic) في جامعة ساو باولو، والذي

توجه جميع المراسلات إلى روي براغا على العنوان: ruy.braga@usp.br

< مايكل بوراووي وحرفة السوسيولوجيا العمومية الكونية: حوارات مع روسيا

بقلم بافيل كروتوف، مؤسسة بيتريم أ. سوروكين، بوسطن، الولايات المتحدة و تاتيانا ليتكينا، مركز كومي العلمي، روسيا وسفيتلانا ياروشينكو، جمعية سوسيولوجيي سانت بطرسبرغ، روسيا

مايكل بوراوي في الميدان، في كومي، عام ٢٠٠٢.
تصوير: تاتيانا ليتكينا.



نرکز في هذا الإشادة الموجزة، على جانب واحد بارز من مسيرته الاستثنائية والمتمثلة في علاقته بروسيا وجهودنا المشتركة لفهم ديناميات الرأسمالية، والخبرات المعيشية للشعب الروسي، وإمكانيات السوسيولوجيا العامة في تحقيق التغير الاجتماعي.

< بدايات الحركة العمالية في ظلّ تحت اشتراكية الدولة

سافر مايكل بوراووي سنة ١٩٨٦، مع بداية البيروسترويكا، برفقة إريك أولين رايت إلى موسكو للقاء سوسيولوجيين سوفيت من معهد علم

مايكل بوراووي: مفكر اجتماعي رائد وسوسيولوجيا سوسيولوجيا عمومية. توفي المفكر الاجتماعي البارز مايكل بوراووي عن عمر يناهز ٧٧ عامًا، بعد حياة حافلة بالمساهمات في علم الاجتماع، حيث كرس جهوده لكشف الحدود الاجتماعية الخفية، ومعالجة أشكال عدم المساواة المختلفة، وبناء جسور بين المجتمعات، بما في ذلك في تعريف الحقل السوسيولوجي نفسه. كان بوراووي، ولا يزال، منارة متعددة الأوجه في علم الاجتماع: صديقًا، ومرشدًا، وزميلًا للعديد من الباحثين. وسيظل إرثه الفكري حاضرًا، خاصة لأولئك الذين يدرسون مسارات الرأسمالية النيولبرالية وهشاشة المجتمع المدني أمام ضغوط السوق والدولة.

مايكل بوراوي في مناظرة عامة في الجامعة الأوروبية في
سانت بطرسبرغ، عام ٢٠١٥.



والاختلال، بدلاً من التشكل التلقائي لنظام بديل. وفي هذا السياق، غدا
المصنع فضاءً للتجزؤ الفوضوي، الأمر الذي هيأ الشروط الموضوعية لصعود
الرأسمالية التجارية وبرز نواة طبقة أوليغارشية آخذة في التكوّن.

وفي الفترة الممتدة بين سنتي ١٩٩٢ و ١٩٩٤، اتّسع نطاق البحث ليشمل
حوض الفحم في مدينة فوركوتا، حيث كانت إضرابات عمّال المناجم تتقاطع،
بل وتتصادم، مع سياسات الإصلاح الاقتصادي. وقد بيّن تحليل سوسيولوجي
شامل للمناجم الاثني عشر، أنجز بالتعاون مع مشروع تابع للبنك الدولي،
الآثار النبوية السلبية لسياسات «العلاج بالصدمة». ومع تنامي حالة
الإحباط إزاء مسار تحرير السوق، أخذ العمّال بالتراجع تدريجياً عن
أشكال المقاومة الجماعية، في ما يمكن توصيفه مجازياً بـ«الانحناء أمام
ملك التاريخ» [bowing before the angel of history](#).

< ضغوطات السوق، التحولات الجندرية، والانحطاط الاقتصادي

مع انهيار المؤسسات الصناعية، انتشرت تأخرات الرواتب، وأحياناً تم
دفع التعويضات على شكل غذاء بأسعار مبالغ فيها. تحولت الأنشطة
الاقتصادية إلى الحيّز المنزلي.

قام بوراوي بدءاً من ١٩٩٤، رفقة وليتكينا Lytkina بدراسة
استراتيجيات بقاء العمال من خلال مقابلات مع أسر معيشية، مطورين
نظرية حول الانتقال ما بعد الاشتراكي، مستلهمين من «التحول الكبير لكارل
بولاني. حيث أكد بوراوي على رؤية بولاني: «لا يمكن للأسواق توليد مجتمع
دون تدمير أو مقاومة».

في روسيا ما بعد السوفييتية، اتخذت هذه المقاومة أشكالاً تمثّلت في تزايد
العمل المنزلي، وإحياء الاقتصادات الموازية، وسلعة العمل والمال والطبيعة
والرعاية، وهي جميعاً ممارسات كانت متجذّرة في علاقات اجتماعية ذات
دلالات ثقافية عميقة. وقد كشفت المقابلات عن انقسام جندري حاد.
فمن جهة، تبوّأت النساء فعلياً الميعلات مكانة الميعلات الرئيسيات للأسر،
معوّضات عن فقدان الرجال لمكانتهم الاجتماعية ووظائفهم. ومن جهة
أخرى، أدّت شبكات الدعم القائمة على القرابة التي أنشأتها النساء دوراً
بديلاً عن الدولة المتداعية. غير أنّ الروح الريادية لنساء الطبقة العاملة،

الاجتماع التابع لأكاديمية العلوم، للانخراط في دراسة مقارنة للوعي الطبقي
في الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة.

برزت خلال عشرة أيام من «المناقشات المحبطة ولكنها مضيئة»،
اختلافات أيديولوجية وتفسيرية عميقة، خاصة حول المفاهيم الماركسية
وتردد العلماء السوفييت في تحليل تناقضات «الاشتراكية الحقيقية» بشكل
علني.

بعد ذلك، اتخذ كل باحث مساراً مختلفاً: لم يعد رايت إلى روسيا، بينما
سعى بوراوي إلى إجراء دراسة إثنوغرافية شاملة للصناعة السوفييتية،
مشابهة لأبحاثه التي كان قد أجراها في المجر. لم ينظر إلى الاشتراكية
السوفييتية كونها انحرافاً مأساوياً عن المثل الاشتراكية، بل كونها شكل من
أشكال تظاهرها -الاشتراكية الحكومية و التي - تستحق الفحص النقدي
والتجريبي. طرح أسئلة حول تنظيم العمل، ووعي الطبقة العاملة،
والمفارقة التي تبرز أن حركات العمال كانت أكثر قوة ونشاطاً في الأنظمة
الاشتراكية الحكومية مقارنة بالمجتمعات الرأسمالية المتقدمة.

< التحوّل إلى رأسمالية السوق

في عام ١٩٩١، بدأ بوراوي الملاحظة بالمشاركة في مصنع للأثاث في كومي،
وذلك لاختبار فرضية طرحها في كتابه صناعة الموافقة « (١٩٧٩) وتطورها
في «الماضي المشع» (١٩٩٢، مع يانوش لوكاتش). ميز بوراوي بين السيطرة
على عملية العمل (علاقات الإنتاج) والسيطرة داخل عملية العمل (علاقات
الإنتاج الداخلية). في ظل الظروف السوفييتية، تمتع العمال بالسيطرة
الثانية بسبب النقص المزمن، حيث تنازل المديرون عن السيطرة التشغيلية
لضمان استمرارية الإنتاج. كانت هذه الاستقلالية المفارقة [paradoxical](#)
[autonomy](#) مثلاً على مرونة النظام الإداري-الأمر و نجاعته.

انطلقت الدراسة في بداياتها من هدفٍ يتمثّل في إجراء مقارنة بين أنماط
العمل في كلّ من الاتحاد السوفييتي وهنغاريا في سياق الاشتراكية المتأخرة،
غير أنّ المعطيات المستخلصة من البحث الميداني كشفت عن مسار تفكّك
متسارع لاقتصاد التخطيط المركزي، الذي أخذ يُستبدل على نحو متزايد
بأنماط تبادل قائمة على المقايضة، بما أفضى إلى إنتاج حالة من التشردم

محاضرات في سانت بطرسبرغ حول موضوع علم الاجتماع العمومي وعاد سنة ٢٠١٥ لتقديم محاضرة بعنوان «علم الاجتماع بوصفها مهنة» [Sociology as a Vocation](#) والمشاركة في حلقة نقاشية حول مستقبل علم الاجتماع الروسي. [the future of Russian sociology](#).

وقد شدّد بوراووي على مهمة علم الاجتماع في توحيد المجتمع بدلاً من تقسيمه، باعتباره مجالاً علمياً وسياسياً-أخلاقياً في آن واحد. ودافع عن إعادة المعرفة السوسيولوجية المثيرة إلى الجماهير المهمشة. وعلى الرغم من وعيه بالقيود الهيكلية التي تواجه علم الاجتماع العمومي في روسيا، فإن تفاؤله وخبرته في تجاوز العقبات دعماه في اعتقاده بأن علم الاجتماع المهني والعمومي يمكن أن يتعايشا ويزدهرا معاً.

وفي خضمّ الضغوط الأكاديمية المتزايدة سنة ٢٠١٥ حث بوراووي علماء الاجتماع على مقاومة المطابقة غير النقدية لمقاييس الأداء الأكاديمي و تأريخ نضالاتهم الخاصة والاعتراف بأن «الشخصي اجتماعي». إضافة إلى تطوير نظريات مستندة تجريبياً وملائمة محلياً - سواء كانت مستعارة أو مشتقة من السياق الروسي. كما دافع عن التضامن بين علماء الاجتماع والتفاعل النشط مع مجتمع مدني منظم ذاتياً، مشدداً على القدرة التحولية للبحث الجماعي و أهميته في المجتمع.

< مايكل بوراووي تجسيد حيّ للسوسيولوجيا العمومية

لقد دمج مايكل بوراووي بمهارة شغفه بعلم الاجتماع مع وعيه العميق باللا مساواة التي تولدها الرأسمالية العالمية. وأظهرت أبحاثه عبر البلدان - بما في ذلك روسيا - أن امكانية تشكيل علماء الاجتماع لطبقة فكرية «خطيرة» محتملة: و ذلك في تحالف مع المجتمع المدني، و انتباه لآليات اللا مساواة، مع قدرتهم على تحويل المعاناة الفردية إلى فعل جماعي.

وفوق كل شيء، نتذكر يقظته وانفتاحه وكرمه وحكمته. فقد كان يستمع باحترام حقيقي، بانيا جسوراً بين الانقسامات، ومفككاً التراتيبات، ومشجعاً للمساواة في التفاعلات اليومية. وقد تشكّلت رؤاه حول البنية والفاعلية من خلال انخراط نابع من التفاعل التعاطفي العميق مع حياة العمال.

لم يكن مايكل بوراووي في نظرنا مجرد منظر لعلم الاجتماع العمومي فقط، بل كان تجسيدا حياً له. ■

توجّه كل المراسلات إلى

بافيل كروتوف، pasha.boston1307@gmail.com

وتاتيانا ليتكينا، tlytkina@yandex.ru

وسفيتلانا ياروشينكو، svetayaroshenko@gmail.com

سواء داخل المجال المنزلي أو خارجه، بما في ذلك المنخرطات في أنشطة تجارية أو خدمية صغيرة، لم تُمكنهنّ ولا أسرهنّ من الإفلات من حلقة الحرمان المستمر.

قام بوراووي، مع كل من كروتوف وليتكينا صياغة مصطلح «الانطواء» [«involution»](#) للإشارة إلى هذه الظاهرة وهي عملية التكيف التراجعي الي يحافظ على البقاء على قيد الحياة على حساب إعادة البناء الاجتماعي

< ضغوط الدولة النيوليبرالية ومنطق الاستبعاد

تم استضافة مشروع الانطواء في معهد المشكلات الاجتماعية والاقتصادية وطاقة الشمال (ISEEP) التابع لمركز كومي العلمي، حيث أسهمت الأعمال الميدانية لبوراووي وانفتاحه على الحوار التعاوني في تحويل التحديات التجريبية إلى قضايا مفاهيمية.

مما أدى إلى مبادرة جديدة: تحليل نظام الضمان الاجتماعي الروسي الانتقائي بعد ١٩٩٦. حيث قمنا بالبحث في عن كيفة اكتساب أو فقد السكان الريفيين والحضرين لحالة «الفقر الرسمي»، وكيفة تشكيل السياسة لمفهوم الفقر نفسه.

على الرغم من جذوره الماركسية، احتضن بوراووي التعددية النظرية ووافق على تطبيق نظريات ويليام جوليان ويلسون حول الفقر الحضري على السياق الروسي، مما يظهر كيف يمكن للأرضية التجريبية أن تنعش الفئات النظرية.

مع تآكل حقوق العمل وتحوّل الإضرابات القانونية إلى أمر شبه مستحيل، تخلت الدولة عن تنظيم سوق العمل. وفي الوقت نفسه، تقلصت تعريفات الفقر. علاوة على ذلك، ومع تزايد عدد الأشخاص الذين يتخطون في الفقر وتغيّر تكوينهم الاجتماعي، قامت الدولة بتعديل قواعد تسجيل «المحتاجين إلى الدعم». أرست الدولة آليات تأديب للفئات ذات الدخل المحدود وأخضعت الأفراد للانضباط، موسعة بذلك دوائر المستبعدين من الحق في الحماية الاجتماعية. وقد أدّى التباعد البيروقراطي، من قبل الدولة والخبراء السياسات والنقابات، إلى عزل المجتمع في «[صراع بدائي من أجل البقاء](#)»، حيث أصبح إنكار الفقر استراتيجية للبقاء، وتلاشت بذلك الهوية الطبقة.

< سلطنة المعرفة ومواجهة السوسيولوجيا العمومية

وجّه بوراووي لاحقاً اهتمامه نحو الجامعة، حيث غدت المعرفة والعمل الأكاديمي عرضة بشكل متزايد للسلطنة في ظلّ الأنظمة النيوليبرالية.

ألقي بوراووي سنة ٢٠٠٧، وبناءً على دعوة من سفيتلانا ياروشينكو،

< مايكل بوروواي: السوسيولوجيا العمومية و تفاؤل الإرادة

بقلم فارين بارفاز، جامعة ماساتشوستس في أمهرست، الولايات المتحدة الأمريكية

مايكل بوراوي يلقي محاضرة في الهواء الطلق أمام قاعة
ويلر في جامعة كاليفورنيا، بيركلي.
تصوير: أنا فياريال



أشرف مايكل على ما يقارب ثمانين أطروحة دكتوراه، البوصلة التي توجّه إليه كثيرون بحكم اهتمامهم بقضايا العمل، أو بالاتحاد السوفيتي السابق، أو من كان مهتمًا بالتحوّلات ما بعد الشيوعية. كما لجأ إليه آخرون لدعمه للإثنوغرافيا، أو لاهتماماته بالعمل المقارن كونيًا، أو لنهجه الماركسي في علم الاجتماع وفي تحليل العالم الاجتماعي. وأنا أنتمي إلى هذه الفئة الأخيرة، الأمر الذي يعني أنني لم أكن، آنذاك، منخرطة بعمق في كثير من أعماله الميدانية. غير أنني اليوم أجد نفسي في سيرة اكتشافها، وألتهم منها ما استطعت. وأجديني في كل مرة أعود فيها إلى كتاباته، مأخوذة بالشعيرة الكامنة في أسلوبه. إذ يظل الشغف الذي بثّه في حياته الواقعية نابضًا بقوة على صفحات أعماله العلمية.

< الباحث الإثنوغرافي والسوسيولوجي و الماركسي ذو المسؤولية الأخلاقية الدائمة

شغل مايكل بصفته باحثًا إثنوغرافيًا، عامل إنتاج آلي، ومشرفًا ميدانيًا على جمع البيانات as a radial drill operator (ولست متأكدة حتى مما يعنيه <<

ك ان مايكل بوراوي المشرف على أطروحتي للدكتوراه، وشخصًا حاضرًا في مسار حياتي الأكاديمية والمهنية منذ سنة ٢٠٠١. وقد حظيتُ بامتياز خوض حوارٍ ثري وممتدّ معه طوال أربعة وعشرين سنة. كنت قد أرسلت خطابي الأخير إليه قبل ساعاتٍ معدودات من تلقّي خبر بوفاته. حيث قاسمته أفكارتي بشأن ورشة تثقيفية و تنويرية حول فلسطين. إذ كان لي سندًا وأحاطني بدعمٍ وتشجيعٍ سخّين. تلقّيت بعد دقائق من انتهائي من تدريس مقالته البديع الصادر سنة ٢٠٠٠ و الموسوم «الماركسية بعد الشيوعية»، في البداية رسالة صوتية، عقبته قراءة البريد الإلكتروني الذي حمل خبرًا نزل عليّ كالصاعقة.

إنه لأمر مؤلم ومبهج في آن واحد أن أسهم في تكريم إرثه العلمي والإنساني. فمنذ بداياته، ثم عبر دوره في الجمعية الدولية لعلم الاجتماع، ومن خلال رحلاته الممتدة للالتقاء بعلماء الاجتماع في شتى أرجاء العالم على مدار الخمسة عشر عامًا الأخيرة، ظلّ من بالغ الأهمية بالنسبة إلى مايكل أن يتجاوز الحدود الوطنية وأن يصل بين عوالم اجتماعية متباينة، ساعيًا إلى بناء فضاءاتٍ معرفية عابرة للحدود.

< التأثير الشخصي وأجندة علم الاجتماع العمومي

سأفاسمكم الآن بعض التأثير الذي تركه مايكل في نفسي وفي عملي البحثي. ثم أخصّ بعد ذلك إلى بضع كلمات عن علم الاجتماع العمومي.

عندما تقاعد مايكل عن التدريس سنة ٢٠٢٣، كتبت بعض التأملات، كما فعل طلابه الآخرون. وأشارككم هنا مقتطفًا قصيرًا من تلك الكتابات. بدأت دراسي العليا في سبتمبر ٢٠٠١، وبعد أسبوعين فقط صوّت الكونغرس على غزو أفغانستان، ولم يعد العالم كما كما عرفناه أبدًا. أذكر محاضرات مايكل في مادة علم الاجتماع الموسوم سوسيو: ١٠١ خلال تلك الأسابيع الأولى، حيث تحدّى الحرب المرتقبة بنقد جريء و مهارة فائقة، حتّى جميع الطلاب في القاعة على التأمل النقدي في أحداث ١١ سبتمبر وما أعقبها (في وقت كانت فيه الوطنية الأمريكية في أوجها). حينها أدركت أنني وجدت مكاني الحقيقي بين دفء الفكر الحر.

خلال بضع سنوات فقط، بدأ مايكل يشق طريقه في رسم أجندة علم الاجتماع العمومي، وكان الحماس والنفض الحيوي المحيط بهذا المشروع محسوسًا في كل زاوية، مُشكّلًا بصمة لا تُمحى على سنواتي المتبقية. كما كتب مايكل في مقالته «من أجل علم اجتماع عمومي (٢٠٠٥)». « يحافظ الكثير من طلاب الدراسات العليا - الذين تتراوح نسبتهم بين ٥٠ و ٧٠٪ والذين ينحون في بلوغ درجة الدكتوراه - على التزامهم الأصلي من خلال ممارسة علم الاجتماع العمومي على الهامش، وغالبًا ما يكون ذلك خفيًا عن أعين مشرفيهم. » واليوم و رغم أنني لا أبحث تحت مشرف بالمعنى المباشر مشرفًا بالمعنى المباشر، يظل علم الاجتماع العمومي الذي أمارسه على الهامش هو ما يغذي عزمي ويمنح عملي الاستمرارية، وهو القوة الخفية التي تحملني إلى الأمام.

يظل تأثير مايكل على تفكيري اليوم رقيقًا في مظهره، لكنه عميق في جوهره لا يزول، صامد لا يتزعزع. يعكس عملي حول الدين والجنون في المغرب ما تعلمته منه عن التحليل النفسي لفرانز فانون في الجزائر، وعن الجذور الاجتماعية للصدمات النفسية التي تشكل الإنسان والمجتمع. أما أبحاثي حول ديون الأسر المعيشية في الهند، فتعديني إلى حبي الأول للماركسية، ذلك الحب الذي رعاه فيّ وأشعل شغفي به. في الحقيقة، كانت ماركسية مايكل ملاذي، وملجأ روحي في عالم متغير.

لقد انجذبت إلى مايكل ليس لمجرد جاذبيته الفكرية أو شخصيته الساحرة، بل لأنني كنت أرى في كل شيء أدرسه آثار الغتراب والطبقية. أكان ذلك من خلال أفكار الناس عن صناعة الإباحية، التي تناولتها أطروحتي للمجستير وشارك مايكل في تقييمها، وفي أشكال التعبئة السياسية بين الأقليات المسلمة، التي كانت محور أطروحتي للدكتوراه (والتي تحولت لاحقًا إلى كتاب). كل ذلك كان ينبض بنفس واحد، نفس علمني كيف يختلط الفكر بالواقع، والفكر الشخصي بالالتزام الاجتماعي.

< أستاذ التفكير النقدي الذي طالما كان همّه تغيير العالم

شجعني مايكل في عملي الإثنوغرافي على تجنّب مواقع السلطة المهيمنة والعالمية الكوموبوليتانية، والتركيز بدلًا من ذلك على المدن الطرفية في مواقع دراستي في فرنسا والهند. وهكذا انتهى بي الأمر إلى دراسة مدينة ليون في جنوب شرق فرنسا ومدينة حيدر أباد في جنوب الهند. وأنا ممتن جدًا لذلك من خلال تجربتي وتعلّمي على الهامش، حيث يكتسب المرء دروسًا لا تتوافر في المركز. حظيت من خلال مايكل، بتعلّم التفكير التحليلي، وعندما أواجه صعوبة في

ذلك!، في مصانع المطاط، ومصانع الشمبانيا، ومصانع الأثاث في القطب الشمالي الروسي (وقد مازحته مرةً بأنني أرغب في زيارة المكان). برزت أولى أعماله حول العرق والطبقة في مناجم النحاس بزامبيا حيث درس الأسس التي من خلالها يوافق العمال على استغلالهم الذاتي في المصانع الأمريكية وفي عمليات الإنتاج وكذلك التدخلات المختلفة للدولة وللأنظمة الإيديولوجية التي تحافظ على هذا الاستغلال. كما تناول مايكل الاشتراكية القائمة فعليًا في المجر والانتقال السوفييتي نحو الرأسمالية. وقد كان له تعامل مستمر مع أعمال بولاني، وبحث في طبيعة الحركات المضادة المتغيرة؛ كما أجرى دراسة معمقة وطويلة مع بورديو، ومؤخرًا مع علم الاجتماع لدى دو بوز، والمشروع الأكبر المتعلق بتحرير المنهج الأكاديمي من الهيمنة الاستعمارية decolonizing the canon. ساهم مايكل بمؤلفات عديدة في مجال الإثنوغرافيا وألّف الكتاب المفضل لديّ، المنهج الحقلّي الموسّع، جعل بوراووي الجامعة التي يدرّس فيها مصنعًا لدراسة كيفية إنتاج علم الاجتماع ونشره إلى جماهير متنوعة. وبالطبع عن إعادة بناء الماركسية. كما كتب نقدًا للنيلويليرالية في الجامعات، والرأسمالية العرقية في جنوب أفريقيا، ومثّل التزامه بفلسطين من بين مشاريعه الأخيرة حيث أدرك أنه مثل حالة من الاستعمار الاستيطاني، مستخلصًا مقارنة تحليلية مع نظام الفصل العنصري/الأبارتهايد في جنوب أفريقيا، وقبل كل شيء، عمل على تحفيز وتذكير علماء الاجتماع الأمريكيين بمسؤوليتنا الأخلاقية التعبير ي الجهر بالكلمة لتخفيف معاناة الفلسطينيين.

< الإبداع الشعري لدى مايكل

أود أن أشارككم فقط بعض المقاطع القصيرة المفضلة من الشعرية في كتاباته:

- «ما هي الوضعية؟ يعتقد أوغست كونت Auguste Comte أنه كان من المفترض لعلم الاجتماع أن يحلّ محلّ الميتافيزيقا وأن يكشف القوانين التجريبية للمجتمع. كان آخر التخصصات التي دخلت مملكة العلوم، لكنه ما إن يُقبل فيها حتّى يحكم ما هو منفصلٌ العقال وغير منضبط، مُتجًا نظامًا يتطوّر من قلب الفوضى. وهكذا تعدّ الوضعية علمً وأيديولوجيا في الآن ذاته». (المنهج الحقلّي الموسّع، ص. ٣١ The Extended Case Method)
- «ليس التدخل من منظور العلم الانعكاسي/التأملي مجرد جزء لا مفرّ منه في البحث الاجتماعي، بل هو فضيلة ينبغي الاستفادة منها. فمن خلال التفاعل المتبادل نكتشف خصائص النظام الاجتماعي. إذ تحدث التدخلات اضطرابات لا تعدّ ضحيّةً واجب محوه، بل تخلق موسيقى تستدرج الروح إلى تقديرها وذلك في استكشافها لأسرار العالم الخفيّ للمشاركين». (المنهج الحقلّي الموسّع، ص ٤٠ The Extended Case Method).
- «أليس هناك ما هو استثنائي يدعوننا إلى تأييد القضية الفلسطينية ودعمها؟ [...] لعلّ المجزرة المستمرة بحق الفلسطينيين هي الأشدّ فظاعة ووحشية على الإطلاق. تحدث أمام أعيننا، حيّة على الشاشات؛ تداهمنا وتتصقّق بوجوهنا. تحاصرنا ولا يمكن الفكّك منها. يضيء الدعم غير المشروط الذي تمنحه القوى الغربية لإسرائيل عليها بُعدًا ذا دلالة تاريخية عالمية. و وفقًا لعالم الاجتماع، لا يكفي أن يعلن ببساطة إلى أيّ جانب يقف ثم يمضي قُدّمًا. فعلماء الاجتماع يدمجون التزاماتهم السياسية داخل إطار نظري. وفي حقبة ما بعد الكولونيالية»، فإنّ القمع المنهجي والعلني الذي تمارسه الدولة الإسرائيلية ضدّ الفلسطينيين يمنحه طابعًا فريدًا، ويدفعنا إلى مراجعة تاريخنا بأعين أخرى مُعيدا منح مفهوم «الاستعمار الاستيطاني» حضورًا جديدًا، بوصفه أحد مخلفات الإمبراطوريات المتداعية». إنّما كانت هذه ثلاثة فحسب من بين شذرات لا حصر لها. ولا تقلّ أيّ منها روعة.

التفاؤل، لأنها معنية بتشكيل الإرادة الجماعية، وتفكيك القيود، والسعي وراء المستحيل... إن تفاؤل الإرادة يستدعي تشاؤم العقل، والعكس صحيح. إنهما توأمان سياميّان.»

رغم أن لدي بعض المؤشرات، إلا أنني لا أعلم إن كان مايكل يعتقد أن الأزمات في الولايات المتحدة كانت تتعمق أكثر فأكثر، وأن التناقضات ستبلغ في نهاية المطاف مرحلة النضج التي تقود نحو الاشتراكية. وكان مايكل، مع ذلك، يظهر دائماً حماساً ودعماً مستمرّاً للحركات الاجتماعية المعاصرة، بدءاً من حركة «احتلوا وول ستريت» Occupy Wall Street وصولاً إلى جهود تحقيق العدالة في فلسطين، وهو موضوع تناوله بشكل متكرر على مدار سنوات عديدة.

«ومع ذلك، كان يذكّرنا على الدوام بأن جمهورنا الأساسي والأكثر أهمية يتمثل في طلابنا الجامعيين. وفي حدود ما نخوضه من حرب موقفية بالمعنى الغرامشي، تُعدّ الجامعة جزءاً من خطوط المواجهة الأمامية. إن تعزيز معنويات الطلاب، ومساعدتهم على إدراك أن خللاً بنوياً عميقاً يعتري نظامنا الرأسمالي، وأنه بإمكانهم—بل وعليهم—الإسهام في تغييره، يُعدّ، بالنسبة لنا في الحقل التعليمي، ربما المهمة الأكثر جوهرية التي نضطلع بها.»

وبتواضعه المميز، كان مايكل يقول دائماً إن علم الاجتماع العام هو العلم السائد في كثير من مناطق الجنوب العالمي، من جنوب أفريقيا إلى الهند؛ وأنه لم يكن يقدم تدخلاً جديداً بشكل خاص حين دعا إلى فكرة أن عملنا كسوسيولوجيين يجب أن يكون مسؤولاً أمام الجمهور أو متفاعلاً معه. أعتقد أنه كان يتعلم من النشاط والسوسيولوجيين في الجنوب العالمي.

< السوسيولوجيا العامة العضوية: نهج أم ممارسة أخلاقية؟

كتب مايكل سنة ٢٠١١ قائلاً: «لا يمكن أن تكون السوسيولوجيا العمومية اسماً لعلم اجتماع رديء، ولا ينبغي لها أن تكون طليعية أو شعبية؛ بل عليها أن تسعى إلى إقامة حوار [بجهد مضنٍ] استناداً إلى ما نمتلكه من معرفة بوصفنا سوسيولوجيين» (٢٠١١: ٧٥).

يتعين علينا مواصلة هذه الحوارات بين الشمال العالمي والجنوب العالمي، والعمل على تفكيك هذه الثنائية سعيّاً نحو بناء تضامن حقيقي الذي جسده مايكل بعمق في ممارساته. كما يتعيّن علينا الاستمرار في تداول المعرفة بطريقة متعددة الاتجاهات على نحو فعال، بحيث نقاسم رؤانا مع المجتمعات المحلية ومع الحركات الاجتماعية. لن يكون هناك توافق دائم في وجهات النظر، ولدى من يعملون في الإثنوغرافيا على وجه الخصوص قد لا تكون استنتاجاتهم دائماً مما ترغب المجتمعات في سماعه. غير أن الحوار والجدل يشكلان جزءاً من العملية التي نمضي من خلالها قدماً—وهذا ما يؤسس لتقليد معرفي.

هكذا يتّضح بالاستناد إلى مقال كتبه سنة ٢٠٢١، أن مايكل أستاذ شعّر أن مايكل كان يرى، على نحو متزايد، أن من الضروري أن تتجاوز السوسيولوجيا العامة الوسائل التقليدية للكتابة للصحافة والمقالات الرئية والإذاعة، نحو الانخراط الفعلي بدلاً من ذلك مع النشاط والمجتمعات في إطار ما سمّاه «السوسيولوجيا العامة العضوية.» وهذا هو الاتجاه بالنسبة لي شخصياً، الذي أسعى إلى تطويره. فلا توجد خارطة طريق جاهزة للمضي فيه، وما زلت أنعلم عبر الممارسة المستمرة. أحاول أن أجد تلك النقطة التي يلتقي فيها التحليل والنظرية السوسيولوجية مع الواقع المعيش، ومع التواصل المباشر وجهاً لوجه مع الفئات الأكثر تضرراً من

صياغة الحجة، أعود إلى الجدول ثنائي البعد (٢×٢) الذي كان مولعاً به، لأجد الوضوح والدقة اللذين غالباً ما يكونان بعيدين المنال. بالطبع، ساهم مايكل في تشكيل فهمي للإثنوغرافيا. وبينما كنت أتعامل مع أسئلة أخلاقية عميقة وعلاقات القوة في الميدان، وأدرس المجتمعات المسلمة المهمشة، كنت أعلم أن روح مايكل ترافقني. وقد اقتبسته في الملحق المنهجي في كتابي.

أقتبس مجدداً من كتاب مايكل المنهج الحقلّي الموسّع *Extended Case Method*، حين يجادل: «بغض النظر عن الجانب الذي نتبناه، سواء كنا رؤساء أو عمالاً، بيضاً أو سوداً، رجالاً أو نساء، فإننا نكون بالضرورة متواطئين في علاقة هيمنة. وبصفتنا مراقبين، ومهما حاولنا خداع أنفسنا، فإننا نقف على «جانبا الخاص»... (غولدر ١٩٦٨). قد تكون مهمتنا نبيلة، كعدم وتوسيع الحركات الاجتماعية، وتعزيز العدالة الاجتماعية، وتوسيع آفاق الفعل اليومي، لكن لا يمكن تجاوز التباين الجوهرى بين المثقفين، مهما بدا التمثيل عضويّاً، ومصالح مصالح الفئة التي يعلنون تمثيلها.

كان مايكل يعيش أطروحة^٢ ١١ ويتفلسفها، حتى غدت جزءاً من كيانه. لم يكتفِ الفلاسفة عبر العصور إلا بتأويل العالم بصور شتى غير غير أن جوهر المسألة يكمن في السعي إلى تغييره.»

أعتقد أن طلابه جميعاً سيتفقون على أنه كان يؤمن قبل كل شيء بضرورة تغيير العالم وبالثورة، أكثر من إيمانه بالنظرية من أجل النظرية أو بالمعرفة من أجل المعرفة. هذا ما يدفني في كل ما أفعل؛ بل إنه يلازمي على نحوٍ يطارد روحي. غير أن لهذا الموقف حيزاً غريباً في علم الاجتماع الأميركي. أتذكر أنني منذ سنوات تلقّيت تقييماً سلبياً للغاية من أحد الطلاب في صفي. حيث كتب: «درس الأستاذة بارفيز عديم الفائدة — إلا إذا كنت تريد أن تصبح ثوريّاً شيوعياً.» لم أكن متأكدة مما إذا كان ينبغي أن أشعر بالإهانة أو أن أرثدي ذلك كوسام شرف. أحب أن أعتقد أن مايكل كان سيضحك ويشعر بالفخر. وكما كتب زاك ليفنسون في مقالٍ تأبيني: «كان النفور من التجريبية يلزم مايكل؛ فلم يكن يحتملها البتة، لكنه كان ب لكته كان بنفس القدر يمت النظرية. فقد كان يعتقد أن مهمة الماركسية السوسيولوجية هي الموازنة الدقيقة بين هاتين المخاطرتين المتلازمتين.»

سمة نموذجية أخرى في شخصية مايكل و التي آمل أنها كانت قد أثرت فيّ، ألا وهي استعداده لتغيير نفسه مع تغير العالم. ومرة أخرى، كان هذا متسقاً مع فهمه للماركسية. فعلى الرغم من أنه كان يدرّس صفّه في النظرية الاجتماعية بطريقة محددة جداً لعقود، إلا أنه تبنى أفكار دو بوا وشرع في حوار جديد كلياً، وبدأ بتغيير محتوى الدرس النظري. فقبل أن يتناول دو بوايز Du Bois كان لمايكل تجربة طويلة مع بورديو. (أتذكر أنه سجل في مساق الدراسات العليا التي كان يقدمها لوك واسكونت حول بورديو وكان يتدمّر من كم الواجبات المنزلية!) وكنت محظوظة بأن كنت أنتمي تلك المجموعة من الطلاب التي كانت تناقش وتجادل حول حدود المنظور البورديوي وإمكاناته. كان لدى مايكل حاجة عميقة لفهم وإيضاح إطاره النظري الخاص، وكان من المثير أن أشارك جزءاً صغيراً من تلك الحيوية والطاقة الفكرية.

< إرادة متقدة بالتفاؤل ورغبة لا تتوقف في المضي قدماً.

كان مايكل قد كتب سنة ٢٠١١: «يُعرف أنطونيو غرامشي بعبارته الشهيرة: «تشاؤم العقل، وتفاؤل الإرادة». فالتشاؤم العقلي يشير إلى التحديد البنيوي للعمليات الاجتماعية، ما يضع حدوداً لما هو ممكن. أما السياسة، فهي تتطلب

العنف والمعاناة التي نسعى لمواجهةها—سواء كانوا من مجتمعات اللاجئين، أو العمال المهاجرين، أو نشطاء الطبقة العاملة المتظاهرين في الشوارع.

على الرغم من أن مايكل لم يخض في التفاصيل الدقيقة المتعلقة بكيفية إدارة تلك العلاقات السلطوية، أو كيفية الدقة لإجراء تلك الحوارات، ولا سيما عبر الانقسامات الطبقية، فإنني أعتقد أن بإمكاننا مع ذلك أن نتعلم من تجربته. وتحديدًا، أنساءل عما إذا كانت السوسيولوجيا العامة العضوية يمكن أن تكون عملية أو ممارسة أخلاقيات.

لم يكن مايكل ليعبر عن الأمر بهذه الطريقة، ولكن استناداً إلى مثاله، أعتقد أن السوسيولوجيا العمومية العضوية ربما تتعلق بالالتزام بالعلم، وكذلك بالالتزام بالانخراط في صفوف مع الناس بإحساس إنساني عميق، وبنوع من القناعة الأخلاقية والسمت الأخلاقي.

إرث مايكل: الفكاهة، والطاقة، والتفاؤل، والأخلاق لدعمنا على أرض مهتزة ما هي بعض الخصال الشخصية لمايكل بورواي التي أثرت في المئات منا حول

العالم، وربما الآلاف؟ لقد كان يتحلى بالانفتاح، والإيمان بحدس الآخرين، ويتميز باللطف والتواضع، بتلك الروح الديمقراطية الحقّ ألا وهي الإيمان بأنه يمكنك التعلم من أي شخص، وإيتيقا التعامل مع الجميع بالاحترام، من طلابه إلى عمال النظافة في المبنى. لا تفهموني خطأ، فقد كان أحياناً غير صبور، ولم يكن لديه أي تسامح مع الكسل الفكري أو التظاهر الكبير. لكن كان لمايكل جمهور واسع، في الشمال العالمي والجنوب العالمي على حد سواء، وما منح سوسيولوجيته العمومية مصداقيتها هو هذه الأخلاق، وأسلوب حياته.

أحزن لواقع لأنني لن أتمكن من خوض هذه الحوارات مع مايكل حول السوسيولوجيا العمومية والتنظيم فيأزمة حالكة. لكن في مراحل الحزن التي أمر بها، أفكر في أن أستفيد من كل الأشياء التي أحببتها فيه، من الفكاهة والطاقة والتفاؤل والأخلاق، وأن أجعلها جزءاً مني. أعتقد أن هذه هي الرحلة الآن لكل منا من الذين كنا في فلكه، والذين تمكنوا من التعلم منه والاستفادة من عطائه وفضله. كان مايكل قد كتب في المنهج الحقلي الموسّع قائلاً: «حين تهتز الأرض تحت أقدامنا على الدوام، نلجأ إلى عكازٍ يعيننا على الثبات.» وأعتقد أن ستكون مجموع كتابات مايكل بورواي (الذي أعتبرها شعراً) وأخلاقه (التي حظيتُ بفرصة أن أكون ساهدة عليها) ذلك العكاز. ■

يعتمد هذا المقال على ملاحظات كنت قد قدّمتها في غرة مارس ٢٠٢٥، خلال ندوة عبر الإنترنت أقيمت تكريماً لمايكل بورواي نظمها شبكة النظرية الاجتماعية ومقرها بنغلاديش. حملت الندوة عنوان «السوسيولوجيا العامة والجنوب العالمي» وقد نُشرت النسخة الأولى من المقال في مجلة بيركلي للسوسيولوجيا. [Berkeley Journal of Sociology](https://www.berkeleyjournalofsociology.com/)

توجّه كل المراسلات إلى فارين البارفيز على البريد الإلكتروني parvez@soc.umass.edu

^١ عبارة "table ٢x٢ the" تشير إلى جدول ثنائي البعد (٢x٢)، غالباً يُستخدم في التحليل الأكاديمي لتوضيح العلاقات بين متغيرين أو لتقسيم المفاهيم بطريقة منظمة وبصرية تساعد على التفكير النقدي. (المترجمة)

< عملية العمل وإنتاج الهيمنة: إسهامات بوراووي

بقلم أيلين توبال، جامعة الشرق الأوسط التقنية - تركيا

يتجاوز الزمن اللازم لإنتاج قيمة تعادل أجر قوة العمل. وبناءً على ذلك، لا تقتصر عملية العمل الرأسمالية على إنتاج القيمة الاستعمالية أو القيمة التبادلية لقوة العمل، بل تمتد لتشمل إنتاج فائض القيمة المتولد اجتماعيًا والاستحواذ الخاص عليه. وتنطوي هذه العملية على علاقة توتر مستمرة بين تعظيم استخراج فائض العمل غير المدفوع، من جهة، وتعظيم القيمة التبادلية لقوة العمل بما يتجاوز حدّ الكفاف الأدنى، من جهة أخرى. ورغم الطابع المركزي لهذه التوترات المتجذرة في العلاقات الاجتماعية للإنتاج، ظلّ البحث التفصيلي والنقاش النظري المنخرط في قضايا الإنتاج وعملية العمل محدودًا إلى حد كبير حتى سبعينيات القرن العشرين.

< الأعمال النقدية الرائدة

سعت مجموعة من علماء الاجتماع سنة ١٩٥٤ إلى دراسة علاقات العمل والأنظمة الصناعية في بلدان مختلفة من منظور مقارن، مع التركيز على التنمية الاقتصادية، وأسواق العمل، والعلاقات بين الدولة ورأس المال والعمل (وهو ما يُعرف بعلاقات العمل الصناعية). وقد انطلقت هذه الدراسات من دافع أساسي تمثل في محاولة الكشف عن الأنماط الكونية لعملية التصنيع، إلى جانب الأشكال الخاصة بعلاقات العمل والتكوين الصناعي التي تشكل تبعًا للسياقين الثقافي والسياسي في كل سوق على حدة. وقد أسفر هذا المشروع البحثي، الذي مؤلته مؤسسة فورد، عن صدور كتاب مشترك سنة ١٩٦٠ بعنوان *الصناعية والإنسان الصناعي* *Industrialism and Industrial Man* لكلاارك كير وآخرين. ركّز هذا العمل على تأثير نخب التصنيع في كل بلد على المسار الفعلي لعملية التصنيع.

غير أن هذه الدراسات أخفقت في تجاوز إطار نظرية التحديث، التي شددت على دور «نخب التصنيع» بوصفها وسيطًا بين العمال وأرباب العمل من أجل تحقيق الاستقرار والنمو الاقتصادي. كما أن تصورها الوظيفي للعلاقات السببية، وطابعها اللاتاريخي، وميلها إلى الدوران التفسيري المغلق (التواتولوجيا)، حال دون إثارها لنقاشات أوسع خارج دوائرها الأكاديمية المحدودة.

ويُعد كتاب هاري برافرمان *العمل ورأس المال الاحتكاري: تدهور العمل في القرن العشرين* *Labor and Monopoly Capital: The Degradation of Work in the Twentieth Century*، الصادر عام ١٩٧٤، أحد الأعمال الرائدة

التي قدمت فحصًا نقديًا لمركزية عملية العمل في المجتمع الرأسمالي. يجادل برافرمان بأن الرأسمالية، رغم اقترانها بظهور تقنيات حديثة، تقود في مسارها التاريخي إلى تآكل واسع النطاق للمهارات، سواء في المصانع أو في المكاتب. ويقرأ تاريخ الرأسمالية بوصفه تاريخًا لنزع المهارة عن الجماهير، في حين جرى حصر العمل الماهر في فئة محدودة جدًا من العمال، تضم المهندسين والمديرين. أما العمل منزوع المهارة، فيتحول إلى ملحق قابل للاستبدال بالآلات الإنتاج. وباختصار، يؤكد برافرمان أن التابلورية ليست «أقل من التعبير اللفظي الصريح عن نمط الإنتاج الرأسمالي».

لتقيتُ بالبروفيسور مايكل بوراووي شخصيًا وللمرة الأولى خلال مؤتمر مجلس الجمعيات الوطنية التابع للجمعية الدولية لعلم الاجتماع (ISA)، الذي عُقد في أنقرة عام ٢٠١٣، حين كان يتولّى رئاستها. ومنذ ذلك الحين أصبحت عضوًا فاعلاً في الجمعية الدولية لعلم الاجتماع، واستمر التواصل بيني وبينه عبر اللقاءات في مؤتمرات الجمعية وتبادل المراسلات الإلكترونية حول قضايا سياسية مفصلة. وقد تميز بوراووي بكونه عالم اجتماع عابراً للتخصصات بحق. وبوصفي باحث في العلوم السياسية، كان انضمامي إلى الجمعية الدولية لعلم الاجتماع نتيجة مباشرة لتهجه الترحيبي والتزامه الصارم بالبحث القائم على الأسئلة العابرة للحدود التخصصية.

وقد جمعني وبوراووي صديقٌ مشترك هو إريك أولين رايت، الذي وافته المنيّة عام ٢٠١٩. وقد انشغل رايت في مقالاته العلمية بتأملات عميقة حول الحياة والموت وما بعد الحياة، وذلك أثناء صراعه مع مرض اللوكيميا. وأذكر تبادل مراسلات مع بوراووي حول المنظور المادي الذي تبناه رايت، والقائم على فكرة عودة الأجساد المادية إلى الكون في هيئة غبار نجوم، مما يعكس ارتباطًا كونيًا عميقًا. ومن المعروف أن بوراووي تبنّى هذا المنظور الإنساني القائم على إعادة اندماج الإنسان في العالم الطبيعي. وبذلك، فإن حضوره لا يقتصر على استمراره الرمزي في هيئة غبار نجوم، بل يتجلى أيضًا في الأثر العلمي المستدام لأعماله، التي ستظل محل قراءة واستشهاد في الدراسات المعنية بطبيعة عملية العمل الرأسمالية وديناميات الصراع الطبقي. وفي هذا السياق يهدف هذا المقال إلى إبراز إسهاماته في الأدبيات السوسيولوجية ذات الصلة.

< قوة العمل

تحتل عملية الإنتاج موقعًا محوريًا في النظرية الاقتصادية، إذ يبدأ تعريف الاقتصاد ذاته بالإنتاج، الذي يمكن اعتباره عملية تحويل لأشياء ذات قيمة استعمالية معينة إلى أشياء ذات قيمة استعمالية مغايرة. وعليه، فإن الإنتاج يعني بالضرورة إنتاج قيمة استعمالية جديدة. وتتحقق هذه العملية من خلال فاعلية قوة العمل و ذلك في تفاعلها مع وسائل الإنتاج، مما يؤدي إلى تحويل موضوعات العمل وإنتاج قيم استعمالية جديدة. غير أن هذا التحول لا يكتسب دلالاته السوقية إلا بقدر ما يقترن بإنتاج قيمة تبادلية أعلى.

ينطوي نمط الإنتاج الرأسمالي في جوهره على تناقض بنيوي أساسي. ففي الأسواق الرأسمالية، لا يمتلك العمال وسائل الإنتاج التي يتعين عليهم استخدامها لإنتاج قيم تبادلية أعلى. ومن ثم، يتطلب الأمر استثمار الرأسماليين في قوة العمل. ويُعد هذا الاستثمار ضرورة بنيوية، نظرًا إلى أن قوة العمل هي وحدها القادرة على إنتاج قيمة تبادلية جديدة تتجاوز القيمة السابقة للموضوعات المنتجة. ويكون هذا الاستثمار مربحًا بقدر ما تتجاوز القيمة التي يخلقها العمال القيمة التبادلية لقوة عملهم ذاتها. ويمثل الأجر القيمة التبادلية لقوة العمل، وهو مستوى يُحدّد اجتماعيًا بما يكفل إعادة إنتاج قوة العمل واستمرار معيشة أسر العمال. وفي المقابل، يسعى الرأسماليون إلى تحقيق الربح من خلال تمديد زمن العمل إلى ما

”التفاعل بين الإكراه والموافقة الذي يحجب الطبيعة الاستغلالية للرأسمالية“

يظل محدودًا، لأن منظور الباحث يتشكّل هو الآخر ضمن سياق اجتماعي محدد. ولكي يتمكن الباحث من تجاوز حدود التعاطف المنهجي، يحتاج إلى الوصول المباشر إلى واقع المبحوثين. ومن ثم، يصبح البحث الإثنوغرافي ضرورة منهجية للإجابة عن هذه الأسئلة المتعلقة بعملية العمل.

< بوراووي: الأطر النظرية المؤسسة

لم يقتصر مايكل بوراووي على التميز بالصرامة الفكرية الاستثنائية فحسب، بل تميز أيضًا بحس عميق من التعاطف، والالتزام بالتواضع، والانعكاسية النقدية. ومن خلال هذه الخصائص، ساهم بشكل جوهري في النقاش حول عملية العمل. ويكمن الفرق الأساسي بينه وبين الباحثين الآخرين في أنه حاول الإجابة عن هذه الأسئلة ليس من موقع الباحث الموضوعي البعيد، بل من خلال استخلاص الإجابات من تجربته الذاتية كعامل في المصنع. فقد قضى وقتًا كبيرًا في العمل بالمصانع، وقد شكل ذلك فهمه العميق لديناميات مكان العمل، وموافقة العمال، والتفاعل بين العمل وعملية العمل الرأسمالية.

ويستند كتابه *صناعة الموافقة: التغيرات في عملية العمل في ظل الرأسمالية الاحتكارية* *Manufacturing Consent: Changes in the Labor Process under Monopoly Capitalism* إلى خبرته الميدانية بوصفه عاملًا في ورشة الماكينات بشركة أيد فيشيكاغو. يبدأ بوراووي تحديدًا بأسئلة حول كيفية قيام العمال بتبني دور الإدارة وإعادة إنتاجه بنشاط. ويشير إلى أنه يجب البحث عن الإجابات المحتملة على هذه الأسئلة ضمن عملية العمل الرأسمالية نفسها، باعتبارها تنتج كلاً من الموافقة والسلع. وبشكل مشابه لمفهوم فريدمان عن «الاستقلالية المسؤولة»، يلاحظ بوراووي أن العمال يدركون أنفسهم وكأن لديهم خيارات.

يتمثل جوهر المسألة في أن وهم الاختيار هذا يجعل العمال يستبطنون، عن وعي، قواعد التحكم الرأسمالي في عملية العمل وكعامل على الماكينات، عاش بوراووي الروتين اليومي والتفاعلات الاجتماعية على أرض المصنع. حيث يروي كيفية شعوره الشخصي بالضغوط الناتجة عن حصص الإنتاج، والسيطرة الإدارية، والعلاقات بين العمال في مواجهة تلك الضغوط. ويقدم تفاصيل قيمة حول كيفية سعي العمال إلى تجاوز حصص الإنتاج من أجل الحصول على مكافآت أو فترات استراحة إضافية. مؤكدًا أن هذه الاستراتيجيات الشبيهة بالألعاب، التي يطلق عليها مصطلح «التفوق على الحصة» (*making out*)، تمثل عناصر من الموافقة على الاستغلال الذاتي. كما يرى أن التركيز على مفهوم السيطرة وحده يحجب فهم طريقة عمل الرأسمالية الفعلية. وبدلاً من ذلك، يبرز بوراووي التفاعل بين الإكراه والموافقة ضمن عملية العمل، ما يكشف عن طبيعة الاستغلال الكامنة في الرأسمالية.

< سياسات الإنتاج في المجتمعات الرأسمالية، والاشتراكية، وما بعد الاستعمارية

وسع بوراووي لاحقًا هذه الأفكار المؤسسة لتشمل سياقًا عالميًا أوسع وعلى مستوى الماكرو في كتابه *سياسة الإنتاج* *The Politics of Production* الصادر سنة ١٩٨٥. حيث ركّز في هذا الكتاب على الأطر السياسية والمؤسسية للإنتاج في سياقات زمانية ومكانية مختلفة. يجادل بوراووي أن سياسات الإنتاج تحددها سياسات الدولة، وأسواق العمل، وديناميات الصراع الطبقي. ووفق هذه المحددات، يتم تشكيل تنظيم العمل وأرضية المصنع ضمن أنظمة عمل وسياسات إنتاج مختلفة في المجتمعات الرأسمالية، والاشتراكية، وما بعد الاستعمارية.

تتوافق أطروحة برافرمان حول نزاع المهارة مع الموضوعات التي يجسدها فيلم تشارلي تشابلن *الأزمة الحديثة* *Modern Times* الصادر سنة ١٩٣٦، الذي ينتقد الآثار الإنسانية للتصنيع وعمليات العمل الرأسمالية. إذ تؤدي إعادة تقسيم المهام المعقدة إلى أعمال بسيطة ومتكررة إلى اغتراب العمال عن عملهم، كما تُفرغ إحساسهم بالغاية والقيمة، ليجري استهلاكه لصالح الآلة. ولا شك أن التقسيم التقني للعمل في عملية الإنتاج الرأسمالية يشكل، في جوهره، عملية العمل ذاتها. إذ إن عملية الإنتاج المعقدة ليست عملية متجانسة، بل هي سيرورة متشظية داخليًا بفعل التقسيم الرأسمالي للعمل. ومع تمايز فروع الإنتاج وتقسيمها، لا ينخرط العمال في جميع التحولات التي تمر بها السلعة، بل يتفاعلون معها عادةً في مرحلة محددة من مراحل إنتاجها. وقد ألهم هذا النقد الجذري لعملية العمل الرأسمالية عددًا من الدراسات اللاحقة في المجال، وأسهم في إشعال نقاشات حادة وواسعة حول عملية العمل بين باحثين ينتمون إلى مجالات معرفية متعددة.

< رؤى مستمدة من فريدمان وإدواردز: الحاجة إلى البحث الإثنوغرافي

بعد أن قام برافرمان بكشف الستار عن طبيعة عملية العمل الرأسمالية، انصبّ الجدل النظري على سؤال بسيط في ظاهره، لكنه بالغ الأهمية في جوهره: لماذا يعمل العمال بالجديّة والشدة التي يعملون بها؟ ويقود هذا السؤال بدوره إلى تساؤل أعمق: كيف يستبطن العمال الأسس الجوهرية للرأسمالية التي تفرض عليهم قيودها؟ وقد جاءت الاستجابات النقدية لهذه الإشكاليات على نحو خاص من أندرو فريدمان وريتشارد إدواردز، ولاحقًا مايكل بوراووي. شدّد أندرو فريدمان على وجه آخر من أوجه السيطرة الرأسمالية على العمل، *Andrew Friedman* وهو وجه أكثر «إنسانية». فقد ذهب إلى أن العمال، بدلاً من إخضاعهم للرقابة المباشرة أو الإشراف الصارم، يُنحون شكلًا من «الاستقلالية المسؤولة» التي تسمح لهم بالتماهي طوعاً مع أهداف المؤسسة. ويبرز فريدمان في هذا السياق الطابع المتغير والمرن لأنماط السيطرة الإدارية التي تتشكل استجابةً لاستراتيجيات مقاومة العمال. وعلى نحو مماثل، قدّم ريتشارد إدواردز منظورًا أكثر تعقيدًا للعلاقات في مكان العمل، مؤكداً طابعها العلاقي والاستراتيجي.

أشار إدواردز إلى أن تحليل برافرمان يميل إلى تعميم الخصائص الأساسية للتaylorية عبر تاريخ الرأسمالية بأسره. ولا مندوحة أن مبادئ الإدارة العلمية التي بشرت بها التaylorية تركت أثرًا عميقًا في أنماط السيطرة على عملية العمل طوال القرن العشرين، غير أنها تظل، في النهاية، شكلًا واحدًا من أشكال الإدارة والسيطرة. كذلك، يميّز إدواردز بين ثلاثة أنماط للسيطرة الإدارية وهي السيطرة البسيطة، والسيطرة التقنية، والسيطرة البيروقراطية، حيث تمثل كلّ منها استراتيجية مختلفة للإدارة. كما يقدم مفهوم «أماكن العمل المتنازع عليها»، حيث لا تكون السيطرة مطلقة، بل تخضع باستمرار لعمليات تفاوض وصراع بين العمال والإدارة. وعلى خلاف تصوير برافرمان للعمال بوصفهم فاعلين سلبيين، يولي إدواردز أهمية كبيرة للطابع الصراع للعلاقات العمل ولممارسات مقاومة العمال. ومع ذلك، ورغم أن كلاً من فريدمان وإدواردز أدخلوا فاعلية العمال (Agency) في تحليلاتهما، فإنهما لم يقدمًا إجابة شافية عن الإشكاليات المطروحة.

للإجابة عن سؤال كيف يوافق العمال، في إطار عملية العمل الرأسمالية، على استغلالهم الذاتي، يحتاج الباحث إلى مستوى عالٍ من التعاطف المنهجي. إذ تبدو مسألة فهم منظور الفاعلين الاجتماعيين في العلوم الاجتماعية مهمةً معقدةً ومحفوفة بالصعوبات، إذ تتطلب تعليق الافتراضات المسبقة والتصورات النظرية الجاهزة من أجل ادراك تجاربهم المعيشة على نحو أصيل. غير أن التعاطف، بدوره،

في تيسير شروط الإنتاجية. فعلى المستوى الظاهري، ينتج العمال الأفراد أجزاء من السلعة، غير أن الإنتاج في جوهره عملية اجتماعية. فالعمل الجماعي هو الذي ينتج السلعة كاملة. وبذلك، تُنتج عملية العمل الرأسمالية الهيمنة في آن واحد، من خلال تحويل العمال إلى أفراد معزولين، ومن خلال إبقائهم في الوقت نفسه جزءاً من قوة العمل الجماعية. وكما أشار ماركس، فإن القوة الجماعية للإنتاج الاجتماعي تتحقق عبر تنظيم العمل « في جسد إنتاجي واحد»، بهدف تحسين إنتاجيته.

< بوراوي والإطار المفاهيمي لإنتاج الهيمنة الطبقة

يشير بوراوي (كما في إشارة ماركس أيضاً) إلى ممارسة الرأسمالين وإدارتهم للسيطرة بشكل صارم على عملية العمل. ويُعد إخضاع العمل لرأس المال النتيجة الشكلية لكون العامل يعمل لصالح الرأسمالي وبالتالي تحت سيطرته. فالتحكم الرأسمالي يحدد جوهر متطلبات سير عملية العمل نفسها. كما تعدّ السلطة التوجيهية ضرورية لضمان التعاون المتناغم وتطوير المؤسسات الإنتاجية. ومن ثم، يصبح العمل على التوجيه والإشراف وضبط عملية العمل أحد وظائف رأس المال. ومع ذلك، لا تقتصر الدوافع التي تقود الرأسمالين للسيطرة على عملية العمل على زيادة التعاون والإنتاجية فحسب، بل يظلّ رأس المال والعمل في صراع مستمر على السيطرة على زمن العمل والاستحواذ على فائض المنتج. وتُعد الإدارة والإشراف أدوات حاسمة لمواجهة أي تصاعد للتمرد في مكان العمل. كما أنّ عنصر الموافقة حاضر باستمرار في تحليل ماركس، إلا أن ماركس، بوصفه يكتب نصاً سياسياً أساساً - خلافاً لبوراوي الذي يكتب نصاً سوسيولوجياً - لم يتناول مسألة كيفية وسبب موافقة الطبقة العاملة على الإدارة.

توفر دراسات بوراوي إطاراً مفيداً لفهم إنتاج الهيمنة الطبقة، مع التركيز على كيفية إعاقة عملية العمل الرأسمالية لنشوء أشكال واعية مضادة للصراع. ومع ذلك، يشير بوراوي إلى أن العمال غالباً ما يشعرون بعدم الرضا والإحباط في مكان العمل بسبب ضغوط حصص الإنتاج، والإشراف الصارم، والمهام المتكررة. وما يظهر هنا ليس بالضرورة وعياً طبقيّاً بحد ذاته، بل وعياً معارضة تعبر عن نفسها بطرق عمل جديدة. فحتى عندما يدرك العمال بوعي أن الهدف من الأعمال هو تحقيق الربح من خلال استخراج فائض القيمة الذي ينتجونه، تكون مطالبهم اقتصر غالباً على الكرامة والاستقلالية. ومن ثم، فإن العلاقات الموضوعية للعمال بوسائل الإنتاج تولّد حتماً صراعات تشكّل خبرتهم بطرق طبقية. **وكما يجادل طومسون**، فإن الطبقة دائماً موجودة في صور الإحباط وعدم الرضا، إلا أن هذه التوترات لا تُترجم بالضرورة إلى وعي طبقي.

ويستخدم بوراوي إطار غرامشي للهيمنة، الذي يجمع بين الموافقة والإكراه مع لحظات تشكيل الإرادة الجماعية. ويوفر غرامشي إطاراً نظرياً ومفاهيمياً غنياً يساعد على فهم تحوّل الذات الفردية ضمن كلفة الممارسة بوصفها لحظات لتشكيل الإرادة الجماعية. وتوضح رواية بوراوي كيف تختلف التجارب اليومية للعمال عن بعضها البعض، ما يقوّض هويتهم الجماعية وإمكانية تشكيل إرادة جماعية. ولهذا السبب، يتنافس العمال فيما بينهم، على سبيل المثال، للوفاء بحصصهم الفردية من أجل الحصول على امتيازات إضافية. وقد تجعل مصالحهم الاقتصادية الفردية من الصعب على فئات من العمال العمل بتضامن.

كما يشير **فيليبيني** إلى أن غرامشي يعرّف الأفراد بوصفهم كيانات متدرجة ومتضاربة تتشكل في علاقتها بالمجتمع. ومن ثم، يُنظر إلى الفرد باعتباره «إنساناً جماعياً» يُبنى عبر الحس المشترك ويتغير باستمرار ضمن المجال الأيديولوجي. ويشير بوراوي إلى أهمية المجال الأيديولوجي في كتابه سياسة الإنتاج، رغم أنه لا يدخل في تحليل على مستوى الدول. ومع ذلك، يؤكد بوراوي أن تحليله يركز على السياق الأمريكي، حيث يؤدي غياب القيادة السياسية والفكرية للطبقة

ففي المجتمعات الرأسمالية، يؤكد بوراوي على أهمية الإدارة نظراً للأولوية القصوى لتعظيم الربح. ويشير إلى كيفية حفاظ قوانين العمل، وسياسات الرعاية الاجتماعية، والعناصر الأيديولوجية على السيطرة على العمال. أما في اشتراكية الدولة للاتحاد السوفيتي، غالباً ما تؤدي المفاوضات بين العمال والإدارة حول السيطرة البيروقراطية إلى علاقات نزاع و ذلك نتيجة التباين بين أولويات الدولة واحتياجات العمال. وتساهم هذه العناصر في تكوين سياسات إنتاج اشتراكية توفر حوافز مختلفة لصناعة الموافقة وإقامة آليات المقاومة. وأخيراً، وفي سياسات الإنتاج ما بعد الاستعمارية، يأخذ بوراوي تحليله إلى المستوى العالمي ليبين كيف تستمر العلاقات الإمبريالية في تحديد عمليات العمل في السياق ما بعد الاستعماري. تغدّي تفسيراته حول كيفية تأثير الرأسمالية العالمية على أنظمة العمل رؤيته حول عمليات العمل في ظل النيوليبرالية.

< تفعيل بوراوي لتحليل ماركس، و إبرازه لحتمية الإنتاجية

يقدم بوراوي من خلال هذين الكتابين المتكاملين، إطاراً تحليلياً شاملاً لفهم عمليات العمل، في توليف بين التجارب اليومية للعمال من جهة، وبين القوى السياسية والاقتصادية الأوسع من جهة أخرى. وبذلك، يؤكد أهمية الربط بين مستويات التحليل المختلفة. كما يشير إلى توجّب تناول مسألتى السيطرة والموافقة، بوصفهما عنصرين مكوّنين لعملية العمل الرأسمالية، و ذلك لكونهما يعكسان الطابع الثنائي للعلاقات الاجتماعية الرأسمالية في الإنتاج. فالعمل في موقع العمل يكون، في الوقت نفسه، ممكناً ومقموعاً، في سياق السعي إلى إضفاء الهيمنة على تصور محدد وشروط بعينها لعلاقات الإنتاج.

يقود تحليل بوراوي بالضرورة إلى إبراز حتمية إنتاجية العمل. إذ ينجح في تفعيل تحليل ماركس لعملية العمل على نحو عملي وإجرائي. إذ تُنظّم الحياة العملية تنظيمًا موضوعيًا حول الإنتاجية. «فالإنتاجية هي التي تُنتج فائض القيمة.» ويشكّل التثمين الذاتي لرأس المال إلى أقصى حد ممكن الدافع الأساسي للرأسمالين. «وعندما يعثر مالك المال على قوة عمل حرة في السوق ويمتلكها، يتحوّل المال إلى رأس مال قابل للتراكم.» ويكون العمل الاجتماعي المنظم في جماعات أكثر إنتاجية من عمل العمال الأفراد؛ وبعبارة أدق، تصبح قوة العمل منتجة بوصفها قوة جماعية. «ويتمثل هدف الرأسمالية في زيادة الربحية إلى أقصى حد ممكن.» ومن أجل تحقيق مزيد من التراكم، يشتري الرأسمالي قوة العمل من أعداد كبيرة من العمال بهدف تعزيز القدرة الإنتاجية للعمل الاجتماعي. «وبالتالي، يُشغّل عدد كبير من العمال ليعملوا جنباً إلى جنب، سواء في العملية الإنتاجية نفسها أو في عمليات مختلفة لكنها مترابطة، وذلك من أجل زيادة الإنتاجية.

وتهدف الرأسمالية، وفق هذا المنطق، إلى زيادة الربحية إلى أقصى حد ممكن. ومن أجل تحقيق المزيد من التراكم، يقوم الرأسمالي بشراء قوة العمل من أعداد كبيرة من العمال بهدف تعزيز القدرة الإنتاجية للعمل الاجتماعي. ومن ثم، يتم تشغيل أعداد كبيرة من العمال يعملون جنباً إلى جنب، سواء في العملية الإنتاجية ذاتها أو في عمليات مختلفة لكنها مترابطة، بغرض رفع مستوى الإنتاجية. ويقود هذا التسلسل التحليلي إلى ما أطلق عليه ماركس اسم «تعاون العمال». والأهم من ذلك أن هذا التعاون يجري وفق خطة مُسبقة يضعها المديرون والمشرفون نابعةً عن مالي وسائل الإنتاج.

كذلك، يبيّن إطار بوراوي التحليلي أن تقسيم العمل ليس غاية في حد ذاته، بل يعدّ وسيلة لتحقيق الإنتاجية. إذ يعيد النظام الرأسمالي إنتاج ذاته من خلال إنتاجية العمل، إذ إن زيادة إنتاجية العمل تعني زيادة إنتاج فائض القيمة. وقد شكّل تعميق التقسيم التقني للعمل أحد السبل الأساسية لرفع الإنتاجية. ومن ثم، فإن دور الإدارة لا يتمثل بالضرورة في تنفيذ تقسيم العمل، بقدر ما يتمثل

العاملة إلى تنافس العمال فيما بينهم. ومن ثم، فإن المصالح الفردية المتدرجة والمتضاربة هي نتيجة عدم قدرة العمال على ترجمة مصالحهم إلى كيان جماعي.

وكما يشير **بانتش وجيندين**، يرى بوراووي أن النقابات العمالية تشكل جهازاً هيمنياً مركزياً للطبقة العاملة يمكنه جذب فصائل مختلفة من الطبقة العاملة إلى حوار وترجمة ممارساتهم المتباينة. ومن الواضح أن عملية العمل، دون وكالة سياسية جماعية، لن تسمح لفئات مختلفة من الطبقة العاملة بتجاوز لحظاتهم الاقتصادية-الشركاتية على أساس تضامن المصالح، حتى في المجال الاقتصادي البحت. والأسوأ من ذلك، أن الهجوم النيوليبرالي العالمي يحرم العمال من قدرة نقاباتهم بوصفها التنظيم السياسي الأساسي لأفعال الطبقات المهمشة.

< خاتمة بديلة

يتحرك عمل بوراووي وفق اقتراحين رئيسيين: أ) تشكل الواقع الأساسي لحياة العامل في مكان العمل، و ب) ارتباط التغيرات في عملية العمل بتغيرات تكوين الرأسمالية. ومن هذين الافتراضين، يظل من الضروري تقديم تحليلات حول التحول النيوليبرالي في تنظيم العمل وتأثيره في تشكيل الإرادة الجماعية للعمال.

من الواضح أن الخصخصة المتسارعة في العصر النيوليبرالي كان لها أثر ملموس في العمال في الشركات المخصصة، و ذلك بفقدانهم لوظائفهم جماعياً وحرمانهم من حقوقهم الاجتماعية. ومع ذلك، فقد أظهرت استجابات العمال تجاه سياسات الخصخصة هذه علامات ضعف واضحة على عدم الرضا. ومن ثم، تطرح الحاجة إلى تعميق البحث حول غياب مظاهر القلق أو التذمر تجاه سياسات الخصخصة.

كما ينبغي أن تركز الدراسات الجديدة على مركزية عملية العمل وتجارب العمال في كسب لقمة عيشهم، إلى جانب تحليل مظاهر الهيمنة ومقاومة الهيمنة في ظل النيوليبرالية. تجدر الإشارة كذلك إلى امكانية تباين تجارب العمال في مكان العمل في العصر النيوليبرالي. وبدلاً من تحديد عملية عمل نيوليبرالية موحدة ومتجانسة وتحليلها، ينبغي لدراسات الجديدة اعتماد مواقف أولية تعكس فكرة أن عملية العمل تتجلى في أشكال وأبعاد مختلفة في قطاعات الاقتصاد الأخرى. وسيمثل الإطار المنهجي والمفاهيمي لمايكل بوراووي مرجعاً مستمراً للباحثين الإثنوغرافيين الجدد في التعامل مع تجاربهم الميدانية. ■

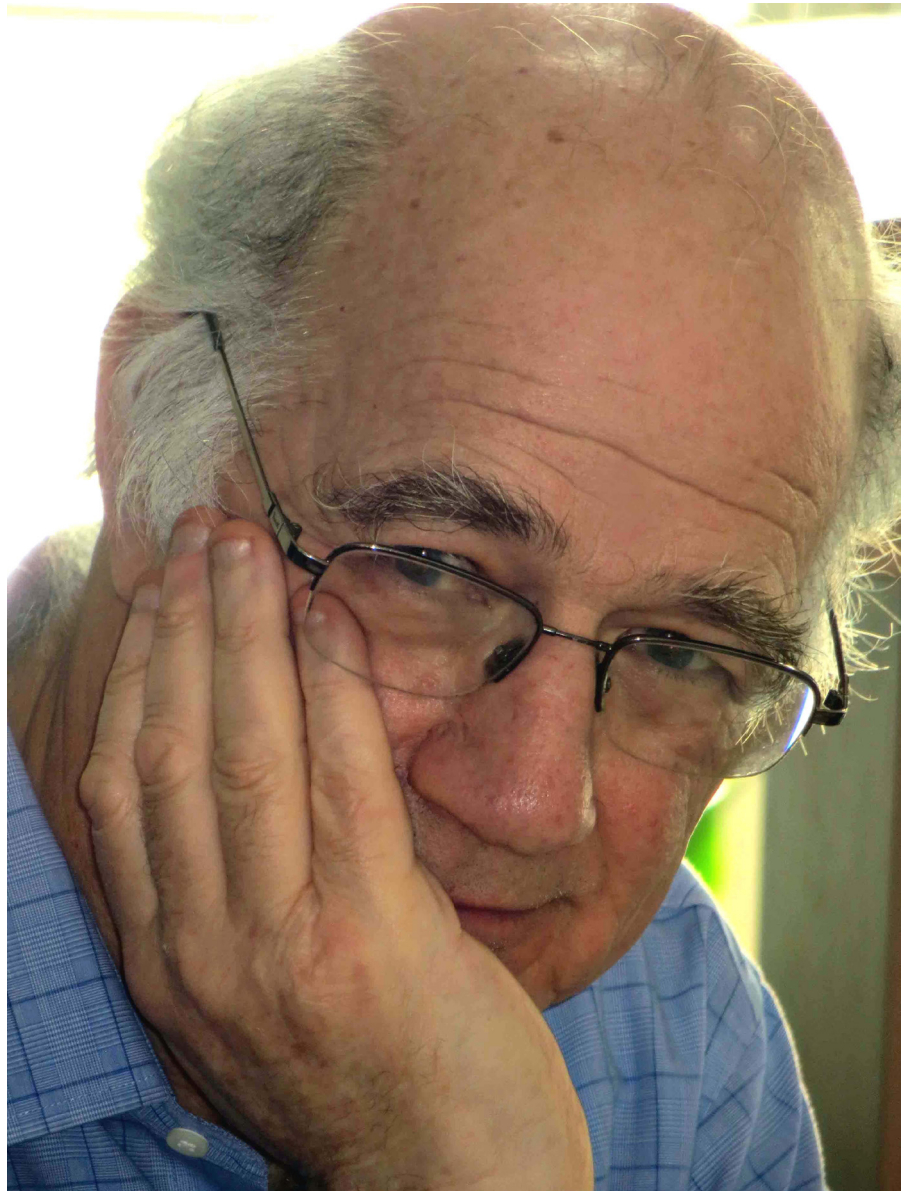
توجه كل المراسلات إلى أيلين توبال على البريد الإلكتروني aylintopal@gmail.com

< اللقاءات والمناقشات

مع مايكل بورووي

بقلم أري سيتاس، جنوب أفريقيا

مايكل بورووي خلال محاضرة في الجامعة الوطنية «أكاديمية
كييف-موهिला» في كييف، أوكرانيا.
تصوير: فولوديمير بانيوتو، عن ويكيبيديا



٣٦

وهناك، وجدت نفسي أحاول استيعاب كيفية إقامة الهيمنة وتأمينها عبر آليات تكيف العمال، عبر ما يشبه الألعاب على أرضية المصنع. استند الكتاب إلى خبرات مايكل العملية في بيئة مشابهة لتلك التي درسها إلتون مايو Elton Mayo في عشرينيات القرن العشرين، حيث اكتشف عملية تكيف العمال عبر شبكات تضامن غير رسمية. غير أن مايكل، على خلاف مايو، لم يقتصر على مكان واحد، بل كان ينتقل من مصنع إلى آخر لاستيعاب السياسة الكامنة في الإنتاج، و كان هذا ما شكّل قيمة كتابه الثاني الموسوم [The Politics of Production: Factory Regimes Under Capitalism and Socialism](#).

ت مكنت لأول مرة سنة ١٩٧٩ من الاطلاع على أعمال مايكل بورووي والتعرف إليهما حين اقترب مني أستاذي إيدي ويبستر Eddie Webster وهو يحمل بين يديه كتاباً جديد الطبع بعنوان [Manufacturing Consent: Changes in the Labor Process under Monopoly Capitalism](#) مؤكّداً أن عليّ إعتماده في المحاضرات التي كنت سألقيها نيابةً عنه في جامعة ويتس Wits. وقال بحزم: «هذا الكتاب رفیق مثالي لكتاب هيو بيونون *Working for Ford*»، الذي كان من المقرر أن يشكّل جوهر المحاضرات.

يستقطني للعمل معه خلال رئاسته للجمعية الدولية لعلم الاجتماع، لكنني كنت قد أرهقته سنوياً الثماني في تنشيط تروس آلة هذه الجمعية ومغازلها، فأثرت التوقف عن الاستمرار.

جمعنا سنة ٢٠١٢ سومانغالا داموداران في جامعة أمبيدكار Ambedkar University في دلهي، لنتباحث و نتحاور في أعمالنا النوعية المختلفة حول مواقع الإنتاج والمجتمعات العمالية. يومها اختلفنا بشأن الحقيقة والزيغ! و أعني بذلك أنَّ دخول مايكل إلى عوالم المصانع كان يقوم على إخفاء مقصده الحقيقي، وتخفيف أثر ميوله الماركسية ليبدو حديته أقرب إلى لغة الموارد البشرية! HR Talk بينما لم تفتح لي أنا أبواب المصانع في جنوب أفريقيا إبَّان نظام الفصل العنصري عبر شبكات الإدارة، بل عبر ممثلي العمال وقادة نقاباتهم. واختلفنا كذلك حول لفظة «الإنثوغرافيا» نفسها؛ إذ كنت، لشيء من جذوري اليونانية، أجد في الكلمة نفوراً خفيفاً، in-scribing فهي تحمل في أصل معناها فعل «نقش» الـ«إنثوس» على موضوعات البحث/ وسمُ موضوعات بنقشٍ إثني، وكأنَّ الباحث يمارس سلطة صامتة على من يكتب عنهم!

والتقينا مجدداً في جوهانسبورغ حين كان منشغلاً مع صديق آخر كارل فان هولدت Karl von Holdt في تأليف كتابه حول بورديو. و لقاء آخر عبر الإنترنت في فرايبورغ Freiburg. كان اللقاء من تنظيم صديقتنا ويكه كايم Wiebke Keim و كان جدالنا حول علم السوسيولوجيا العمومية وكيفية تداول الأفكار السوسيولوجية. عقبه لقاء آخر في كايب تاون لمناقشة نظام الجامعات وأخلاقياته الإدارية الجديدة. وأخيراً، كان لقاءنا في في جوهانسبورغ مرة أخرى مناسبة تكريم صديقنا إيدي ويرستر. لقاء نظمته Eddie Webster سارة موسويتسا Sarah Mosoetsa وميشيل ويليامز . Michelle Williams كما لم يفت مايكل أن يكرم صديقاً آخر متقاعدًا ولكنه جريء: جاك كوك Jackie Cock.

وكان مصير مايكل أن يُقتل في أوكلاند بعد أسابيع قليلة من ذلك اللقاء.

لقد فقدنا عالم اجتماع استثنائياً في مجال أفضية العمل وممارسة علم الاجتماع، وفنّانا مبدعاً في الجمع بين التوجهات الاجتماعية الكلية والجزئية في علم الاجتماع. ولا تزال في الأذهان صورته الحية لهيبته المسرحية التي لا تهدأ في خطواته المتردة على المسرح، والطبشور، والمربعات التي كان يرسمها لتوضيح الفئات، وضحكاته، ورعبه أمام الفظائع التي التي أخذنا نشكلها في عالمنا نا نصحبها. ترك لنا مايكل تاملاته الثاقبة حول صعود الشعبوية والاستبدادية ووحشية الإبادة الجماعية. ■

توجه كل المراسلات إلى آري سيتاس على البريد الإلكتروني arisitas@gmail.com

أدركت لاحقاً مدى قربيه من إيدي ويبستر والمؤرخة الشعبية لولي كالينيكوس، Luli Callinicos اللذان كانا مرشدين الأكاديميين و أغدق عليّ بسخاء صداقته ورعايته منذ لقائنا شخصياً في ديربان Durban سنة ١٩٨٩. كان مايكل مبهوراً بالعمل الذي كنّا ننجزه داخل حركة مسرح العمال في قلب الحركة النقابية المناضلة، وبالطريقة التي كنّا نمارس بها «علم الاجتماع العمومي» الخاص بنا. و خُضنا نقاشات محترمة حول آفاق الحراك الاجتماعي التي كان تخطيط بنا، و المتشربة بما كان يُسمى بالحرب الأهلية في ناتال. Natal Civil War.

استضافني لاحقاً مرتين في قسم علم الاجتماع في جامعة بيركلي، خلال الفترة الممتدة من ١٩٩٣ إلى ١٩٩٤ و ١٩٩٩ إلى ٢٠٠٠. لقد أنقذني فعلياً من ورطة الاضطراب إلى ترؤس لجنة الإعلام والثقافة التابعة لاتفاقية السلام في الحرب الأهلية، حيث طُلب منا أن نُجمل صورة التقدّم للصحافة خلال النهار، ثم نواجه تجدد العنف كل ليلة. كان عاماً لا يُنسى، إذ أحلني إلى العديد من زملائه وأصدقائه — بيتر إيفانز Peter Evans ، مايكل واتس Michael Watts ، جيليان هارت Gillian Hart ، آصف بيات Asef Bayat ، ميشيل ويليامز Michelle Williams ، وحتى مانويل كاستيلز Manuel Castells — الذين كانوا يصغون باهتمام ويبدون عناية كبيرة بالانتقال السياسي في جنوب أفريقيا. كان مايكل وقتها مسحوراً بروسيا ما بعد الغلاسنوست، فكانت المقارنات بين عمليات الانتقال تطاير كأشباح الندوات. اضطررتُ إلى العودة إلى جنوب أفريقيا من أجل أول انتخابات ديمقراطية حقيقية لأكون مراقب تصويت لصالح المؤتمر الوطني الأفريقي (ANC).

لا تزال صورة بوروواي وهو يندفع بدراجته الرياضية وخوذته من أوكلاند، حيث كان يسكن، نحو الحرم الجامعي وقرب سوق مونتييري حيث كنّا نسكن، عالقة في الذاكرة. وكانت عباراته المتهكزة، 'عليك أن تقرأ هذا' و'لا، بل اقرأ ذاك'، تدفعنا إلى المضي قدماً، فيما كنّا نأزدد إلهاماً بمسعاها النظري لتبرير العمل الإنثوغرافي الذي جعله شخصية بارزة في عالم علم الاجتماع.

ثم توالى اللقاءات في السنوات التي تلت لقاءنا الأول ، فيما كانت جنوب أفريقيا كانت تتخذ مكانة الوطن الثاني في قلبه كبده الثاني. فقد زارني مباشرة بعد انتقالي إلى جامعة كيب تاون سنة ٢٠١٠، حيث قدمني أيضاً إلى آن ماري وولب AnnMarie Wolpe ، رفيقته الوفية منذ زمن بعيد. وفي لحظة، استحوذت عليّ هذه النسوية العجوز لتشارك في مجلس إدارة صندوق هارولد وولب Harold Wolpe Trust ، تخليداً لذكرى صديق آخر وعالم اجتماع مميز. كان مايكل يتوق لأن يكون حاضراً في إطلاق كتابي عن عشرية مانديلا [Mandela Decade](#) ، الذي احتضنه الصندوق، إلا أن التزاماته الدولية الملحة حالت دون ذلك. وحاول أن

< مايكل بوراوي: منارة هادية

بقلم: الشيخ محمد قيس، جامعة راجشاهي، بنغلاديش

و غالبًا ما يعتمد هذا التخصص إلى محاكاة الأطر الأوروبية مركزية بدلاً من إنتاج نظريات منبثقة من الواقع المحلي. في الوقت نفسه، تظل الجمعيات المهنية ضعيفة، بينما تسهم الإصلاحات النيوليبرالية في التعليم العالي في تقويض إمكانات بناء حقل علمي قادر على الاستدامة الذاتية. وقد أفضى هذا الوضع إلى نشوء ما أسماه «سوسيولوجيا هجينة»، علم يعكس التوترات وأنماط التبعية والأزمات التي تميز عالمنا الأكاديمي.

ومع ذلك، فإن هذه الأزمة تقدم أيضًا فرصة. لتحويل علم الاجتماع في بنغلاديش وفي سياقات الجنوب الأخرى، إذ يتوجب إصلاح المناهج، وتوليد نظريات ومنهجيات مستمدة من المعرفة المحلية، وإبراز الأهمية العملية لعلم الاجتماع بالنسبة إلى مجتمعاتنا، وتعزيز الجمعيات الوطنية والإقليمية، وتشجيع جيل من الباحثين المنفتحين وذوي الوعي النقدي الذاتي، الملتزمين بمسؤولياتهم داخل مجتمعاتهم ومن أجلها.

كان تأثير مايكل حاسمًا. في تطوير هذه الأفكار. فهو لم يلهمني برؤاه النظرية فحسب، بل تفاعل مباشرة مع محاولاتي لتصوير سوسيولوجيا الهجينة. و ذلك من خلال قرائته لمسوداتي، و تقييم ملاحظاته، إضافة إلى تشجيعه لي على إعادة صياغة حججي وتدقيقها. ما أثار إعجابي ليس فقط بعبقريته الفكرية، بل أيضًا بتواضعه. بالنسبة لباحث شاب غير معروف من بنغلاديش، أن يتلقى مثل هذه الاهتمام من أحد أبرز شخصيات علم الاجتماع العالمي كان مفاجئًا ومحفزًا بعمق.

علاوة عن تأثيره الفكري، لن أنسى مايكل أبدًا لما تحلّى به من دفة إنساني ونبيل أخلاقي. ففي المؤتمرات، كان ودودًا، خفيف الظل، كريمًا بوقته. أتذكر أنه سألني عن الطعام وحسن الضيافة في أكاديميا سينيكّا خلال أحد المؤتمرات في تايبيه، ثم أعلن مازحًا: «إذا قال الشيخ إنه جيّد، فهو جيّد حقًا!». وخلال المؤتمر العالمي في ملبورن عام ٢٠٢٣، وجدت نفسي أنبعه لالتقاط الصور معه كما لو كنتُ مصوّرًا صحفيًا يلاحقه، فضحك من تصرفاتي وتجاوب معها بروح مرحة. ولاحقًا، عندما علم بانتخابي عضوًا في اللجنة التنفيذية للجمعية الدولية لعلم الاجتماع (ISA)، جاءت تهنئته مفعمة بالفرح والتشجيع الصادق.

بالنسبة إليّ، كان مايكل بحق منارة هادية. وكما تعتمد السفن على ضوء المنارة للاهتداء في ظلمات البحر، اعتمدتُ عليه طلبًا للوضوح والبوصلة الفكرية في عالم علم الاجتماع العالمي، بما يحمله من تعقيد والتباس. لقد شكّل إرثه—المنتمثل في علم الاجتماع العمومي، ونقد هيمنة الشمال العالمي، والدفاع عن المعرفة المنخرطة والمتحررة من الاستعمار—مساري الفكري، وسيظل مصدر إلهام وهداية لكثيرين غيри في بلدان الجنوب العالمي.

أستاذ مايكل بوراوي كان مصدر إلهام دائم لعديد من علماء الاجتماع في الجنوب العالمي. تحدّى فكرة «علم اجتماع واحد للجميع» ودافع بحماس عن وجود «سوسيولوجيات متعددة حول العالم». إذ أكّد في كتاباته وخطاباته على الدور المحوري لعلم الاجتماع في الجنوب العالمي، وساءل التقسيم العالمي الهرمي للعمل الفكري، و في إطار ربط البحث الأكاديمي بالقضايا الاجتماعية الواقعية، وتعزيز مشاركة المجتمع في إنتاج المعرفة دعا مايكل بوراوي إلى الحاجة إلى نظريات مستمدة من التجارب المعيشية لمجتمعاتنا.

أثناء عملي في بنغلاديش، كانت رؤيته لعلم اجتماع مُستقلّ ومُحرّر من الاستعمار بالغ الأثر في فكري. تعرّفت على مايكل سنة ٢٠٠٨، عندما دعاني الأستاذ سيد فريد العباس للمشاركة في مؤتمر في تايبيه Taipei سنة ٢٠٠٩. كنت آنذاك باحثًا مبتدئًا وغير واثق من نفسي. ساعدني مايكل، بكرمه المعهود، في صياغة ملخص بحثي وأوراق لي لذلك الاجتماع الدولي الأول. لن أنسى أبدًا هذا التشجيع. في نفس الفترة تقريبًا، تلقيت أيضًا دعماً من أكاديميين كبار آخرين مثل الأستاذة راوين كونييل، مما عزز التزامي باستكشاف علم اجتماع جنوبي متميز.

كان إطار مايكل المعروف لأنواع الأربعة من علم الاجتماع — المهني والسياسي والنقدي والعام — الحافز الحاسم في التفكير في حالة علم الاجتماع في بنغلاديش. حيث طوّرت من تعاريف هذا التفكير، فكرة ما أسميته لاحقًا «السوسيولوجيا الهجينة». وأقصد بذلك علم اجتماع يعتمد بشكل كبير على النظريات والمنهجيات المستوردة من الشمال العالمي، مع الاعتماد على البيانات التجريبية من الجنوب العالمي. لكنّ هذا الوضع الهجين في حد ذاتها علامة على الأزمة المتمثلة في تخصص متأثر بالتبعية الفكرية، وغير قادر على الوقوف على أسس فكرية مستقلة بالكامل. ففي معظم دول الجنوب العالمي، تشكل علم الاجتماع بهذه الديناميكيات في إنتاج المعرفة، مستمدًا غاذج خارجية مع إهمال المعرفة المحلية وواقع مجتمعاتنا.

لا يحدث هذا التهجين بمحض الصدفة، بل ينشأ في مجتمعات تتوافر فيها ظروف معينة من بينها الاعتماد على الموارد الأكاديمية الخارجية، وهيمنة الأفكار المستوردة على حساب الإبداع المحلي، واستمرار الآثار المترتبة على الاستعمار، إضافة إلى الموقع الهامشي الذي يتخبط فيه الباحثون والعلماء من الجنوب العالمي في الهرمية العالمية لإنتاج المعرفة. وتُفضي هذه الشروط إلى نشوء سوسيولوجيا تتجه بنظرها إلى الخارج طلبًا للاعتراف والشرعية، بدلاً من ترسيخ الثقة بمواردها الفكرية الذاتية.

تقدّم بنغلادش مثالًا واضحًا على ذلك. ففي بلدي، ظلّ علم الاجتماع و لأمد طويل تخصصًا غير محدد المعالم على نحو دقيق، ولا يزال يعاني من مواطن ضعف نظرية ومنهجية ومؤسسية. كما تواجه الجامعات أزمات بنيوية وإدارية متفاقمة.

”علم الاجتماع العام، نقد هيمنة الشمال، الدفاع عن المعرفة الملتزمة والمتحررة من الاستعمار“

عزيزي مايكل، ستظلّ ذكراك منقوشة في قلبي إلى الأبد. لقد أنرتَ دروبًا لكثيرين
منّا. فلترقد بسلام. ■

توجّه كل المراسلات إلى الشيخ محمدقيس على البريد الإلكتروني skais11@yahoo.com

كما أطلق مايكل نشرية حوار كوني (Global Dialogue)، التابعة للجمعية
الدولية لعلم الاجتماع، فأتاحت منبرًا لأصوات من مختلف أنحاء العالم. وكان فريقنا
في بنغلادش قد ناقش إمكانية استضافة مؤتمر دولي تحت مظلة هذه المجلة، وكنّا
آمل أن أدعو مايكل إلى دكا. غير أنّ هذا الأمل، للأسف، لن يتحقّق.

< تكريم مايكل بوراووي:

منظور ماركسي لصناعة سيارات الأجرة الصغيرة في جنوب أفريقيا

بقلم سيا بويلا فوبوسي، جامعة فورت هير، جنوب أفريقيا



غلاف الطبعة المنقحة الصادرة عام ١٩٨٢ من كتاب «صناعة القبول».
الجهة المالكة للحقوق: دار نشر جامعة شيكاغو

عبر تعديلات سياسية سطحية فحسب بل يستلزم مقاومة جماعية منظّمة وتحولاً بنوياً أعمق. ومن خلال استحضار إطاره الماركسي، يصبح بإمكان الباحثين والفاعلين الميدانيين الدفع نحو إصلاحات تُعلي من شأن حماية العمال، وتضمن عدالة أكبر في توزيع الدعم الحكومي، وتُعزّز آليات التفاوض الجماعي لسائقي سيارات الأجرة الصغيرة. إن هذه الجهود تمثّل امتداداً حياً لإرث برواي الفكري، وتُسهم في تعزيز مسار النضال من أجل العدالة داخل قطاعات العمل غير الرسمية.

جسد مايكل برواي، من خلال التزامه العميق بعلم الاجتماع العمومي، الحاجة الملحة إلى باحثٍ منخرطٍ في قضايا مجتمعه ومواجهٍ لأشكال الظلم الاجتماعي. ولا يزال إنتاجه الفكري قوةً مُلهمةً لكل من يسعى إلى تفكيك تناقضات النظام الرأسمالي والدفاع عن علاقات عمل أكثر عدالة وإنصافاً. وإن تكريم إسهاماته الفكرية هو، في جوهره، تأكيدٌ جديد على الدور المحوري الذي يضطلع به علم الاجتماع في بناء مجتمع أكثر عدلاً وإنسانية. ■

توجّه كلّ المراسلات إلى سيا بويلا فوبوسي على البريد الإلكتروني sfobosi@ufh.ac.za

يُعتبر مايكل بوراووي شخصية بارزة وقامة علمية في علم الاجتماع، لا سيما في مجال علم الاجتماع العمومي، حيث أعادت مناهجه الإثنوغرافية ورؤاه الماركسية تشكّل المفاهيم حول العمل والرأسمالية وسلطة الدولة. لقد قدمت أعماله عدسة نقدية يمكن للباحثين من خلالها تحليل أنظمة الاستغلال وآليات المقاومة ضمن الاقتصاديات الرأسمالية. ففي تكريم المساهمات العلمية لبوراوي، ندرك أن نظرياته تظل ذات صلة عميقة بالدراسات المعاصرة، بما في ذلك تلك التي دراسة صناعة سيارات الأجرة الصغيرة في جنوب أفريقيا و تفحصها.

أرسى المؤلف الرائد لبوراوي، صناعة الموافقة الصادر سنة ١٩٧٩، الأساس لفهم كيفية تكيف العمال مع الاستغلال في ظل الرأسمالية، بحيث يوافقون غالباً على إخضاعهم الذاتي من خلال بُنى مكان العمل وسياسات الدولة. ويوفّر نقده لتدخلات الدولة والإصلاحات الرأسمالية إطاراً قوياً يمكن من خلاله تفكيك ديناميكيات أسواق العمل غير الرسمية. ولا يبرز هذا الأمر بوضوح كما هو الحال في قطاع سيارات الأجرة الصغيرة في جنوب أفريقيا؛ وهو قطاع غير رسمي ولكنه أساسي، نشأ من سياسات الفصل العنصري التي فرضت التباعد المكاني، ولا يزال يعمل في ظل ظروف عمل هشة وغير مستقرة.

تنسجم إزالة القيود التنظيمية على هذه الصناعة وتحريرها في أواخر الثمانينيات، الذي سمح بالتوسع السريع، مع مفهوم برواي حول «الانتقائية الاستراتيجية»، حيث تنحاز سياسات الدولة عمداً إلى المؤسسات الرأسمالية المنظّمة، بينما تُهمل أو تهتمش الاقتصادات غير الرسمية. يساعد هذا المنظور النظري في تفسير سبب فشل تدخلات الحكومات المتعاقبة، بما في ذلك برنامج إعادة رسملة سيارات الأجرة، في تحسين سبل عيش عاملي سيارات الأجرة الصغيرة بشكل جوهري. وبدلاً من ذلك، جاءت هذه التدخلات في الغالب لخدمة مصالح رأس المال، إذ عملت على تحديث البنية التحتية دون معالجة ظروف العمل.

تجد البحوث السوسيولوجية المتناولة لقطاع سيارات الأجرة الصغيرة، ومن ضمنها بحثي، صدى لما طرحه برواي من رؤى عميقة حول تفكك البنية العمالية وأشكال الاستغلال البنوي التي تُحاصر العمال. ويُبرز بحثي كيف يعمل سائقو هذه المركبات في غياب تام للعقود، والامتيازات، والحماية القانونية، فيجدون أنفسهم أمام هشاشة اقتصادية مستمرة، ويخضعون لآليات منافسة سوقية تُقوّض قدرتهم التفاوضية وتُحكم تبعيتهم. كما يُظهر تحليلي لسياسات الدولة أن الإصلاحات التي تُسنّ داخل الأطر الرأسمالية تميل، في معظم الأحيان، إلى تفضيل الكفاءة الاقتصادية على حساب صون حقوق العاملين وتحسين شروطهم. وكما يذكّرنا عمل بوراووي، في تحليله النقدي، بأن التغيير الحقيقي لا يتحقق

< الجدول الدوري لليوتوبيا الممكنة

بقلم ديفيد جولدبلات، عالم اجتماع وصحفي مستقل، المملكة المتحدة

THE PERIODIC TABLE OF A FEASIBLE UTOPIA

<div><div><div><div><div></div><div>1</div></div></div><div><div><div></div><div>L_o</div><div>LOVE</div></div></div></div></div>																	<div><div><div><div><div></div><div>2</div></div></div><div><div><div></div><div>F</div><div>FAMILY</div></div></div></div></div>				
<div><div><div><div><div></div><div>3</div></div></div><div><div><div></div><div>H_o</div><div>HOPE</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>4</div></div></div><div><div><div></div><div>C_a</div><div>CIVIC ACTIVISM</div></div></div></div></div>															<div><div><div><div><div></div><div>5</div></div></div><div><div><div></div><div>G_e</div><div>GENDER EQUALITY</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>6</div></div></div><div><div><div></div><div>A</div><div>ART</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>7</div></div></div><div><div><div></div><div>P</div><div>PARTIES</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>8</div></div></div><div><div><div></div><div>F_{nd}</div><div>FRIDAY NIGHT DINNER</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>9</div></div></div><div><div><div></div><div>L</div><div>LESBIAN</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>10</div></div></div><div><div><div></div><div>F_r</div><div>FRIENDSHIP</div></div></div></div></div>
<div><div><div><div><div></div><div>11</div></div></div><div><div><div></div><div>E_m</div><div>EMPATHY</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>12</div></div></div><div><div><div></div><div>S_o</div><div>SOLIDARITY</div></div></div></div></div>															<div><div><div><div><div></div><div>13</div></div></div><div><div><div></div><div>R_j</div><div>RACIAL JUSTICE</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>14</div></div></div><div><div><div></div><div>P_y</div><div>POETRY</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>15</div></div></div><div><div><div></div><div>C_c</div><div>CEREMONIES AND CELEBRATIONS</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>16</div></div></div><div><div><div></div><div>J_{zz}</div><div>JAZZ</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>17</div></div></div><div><div><div></div><div>G_o</div><div>GAY</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>18</div></div></div><div><div><div></div><div>R_o</div><div>ROMANCE</div></div></div></div></div>
<div><div><div><div><div></div><div>19</div></div></div><div><div><div></div><div>C_o</div><div>COMPASSION</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>20</div></div></div><div><div><div></div><div>M_a</div><div>MUTUAL AID</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>21</div></div></div><div><div><div></div><div>D_d</div><div>DAY DREAMS</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>22</div></div></div><div><div><div></div><div>S_h</div><div>SOCIAL HOUSING</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>23</div></div></div><div><div><div></div><div>W_k</div><div>WALKING</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>24</div></div></div><div><div><div></div><div>P_m</div><div>PLAYGROUNDS AND MEADOWS</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>25</div></div></div><div><div><div></div><div>R_d</div><div>REDUCE</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>26</div></div></div><div><div><div></div><div>G_{nd}</div><div>GREEN NEW DEAL</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>27</div></div></div><div><div><div></div><div>U_{bi}</div><div>UNIVERSAL BASIC INCOME</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>28</div></div></div><div><div><div></div><div>R_w</div><div>REDISTRIBUTION OF WEALTH</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>29</div></div></div><div><div><div></div><div>W_x</div><div>WEALTH TAX</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>30</div></div></div><div><div><div></div><div>R_j</div><div>RESTORATIVE JUSTICE</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>31</div></div></div><div><div><div></div><div>N_d</div><div>NEURODIVERSITY</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>32</div></div></div><div><div><div></div><div>R_k</div><div>RANDOM KINDNESS</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>33</div></div></div><div><div><div></div><div>F_e</div><div>FESTIVALS</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>34</div></div></div><div><div><div></div><div>P_s</div><div>THE POKER SCHOOL</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>35</div></div></div><div><div><div></div><div>B</div><div>BISEXUAL</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>36</div></div></div><div><div><div></div><div>S_x</div><div>SEXUAL ECSTASY</div></div></div></div></div>				
<div><div><div><div><div></div><div>37</div></div></div><div><div><div></div><div>R_o</div><div>ROOTS</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>38</div></div></div><div><div><div></div><div>C_z</div><div>CITIZEN JURIES</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>39</div></div></div><div><div><div></div><div>P_d</div><div>PORTABLE PARADISE</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>40</div></div></div><div><div><div></div><div>P_p</div><div>PEOPLE'S PALACES</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>41</div></div></div><div><div><div></div><div>C_y</div><div>CYCLING</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>42</div></div></div><div><div><div></div><div>U_f</div><div>URBAN FORESTS</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>43</div></div></div><div><div><div></div><div>R_p</div><div>REPAIR</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>44</div></div></div><div><div><div></div><div>C_e</div><div>CLEAN ENERGY</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>45</div></div></div><div><div><div></div><div>U_{hc}</div><div>UNIVERSAL HEALTHCARE</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>46</div></div></div><div><div><div></div><div>F_w</div><div>FOUR-DAY WORKING WEEK</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>47</div></div></div><div><div><div></div><div>C_x</div><div>CARBON TAX</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>48</div></div></div><div><div><div></div><div>D_l</div><div>DRUG LEGISLATION</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>49</div></div></div><div><div><div></div><div>D_r</div><div>DISABILITY RIGHTS</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>50</div></div></div><div><div><div></div><div>S_d</div><div>SINGING AND DANCING</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>51</div></div></div><div><div><div></div><div>F</div><div>FEASTING</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>52</div></div></div><div><div><div></div><div>H_s</div><div>HOT SAUNAS</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>53</div></div></div><div><div><div></div><div>T</div><div>TRANS</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>54</div></div></div><div><div><div></div><div>N_g</div><div>NEIGHBOURHOOD</div></div></div></div></div>				
<div><div><div><div><div></div><div>55</div></div></div><div><div><div></div><div>L_a</div><div>LAUGHTER</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>56</div></div></div><div><div><div></div><div>D_c</div><div>DECENTRALISATION</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>57</div></div></div><div><div><div></div><div>I_c</div><div>IMPROBABLE CONNECTIONS</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>58</div></div></div><div><div><div></div><div>P_t</div><div>PUBLIC TRANSPORT</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>59</div></div></div><div><div><div></div><div>S_k</div><div>SKATING</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>60</div></div></div><div><div><div></div><div>C_f</div><div>CITY FARMS</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>61</div></div></div><div><div><div></div><div>R_c</div><div>RECYCLE</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>62</div></div></div><div><div><div></div><div>R_a</div><div>REGENERATIVE AGRICULTURE</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>63</div></div></div><div><div><div></div><div>U_{cc}</div><div>UNIVERSAL CHILD CARE</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>64</div></div></div><div><div><div></div><div>U_w</div><div>USEFUL WORK</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>65</div></div></div><div><div><div></div><div>L_w</div><div>LAND VALUE TAX</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>66</div></div></div><div><div><div></div><div>E_p</div><div>BRIFFY PRISONS</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>67</div></div></div><div><div><div></div><div>R_c</div><div>RIGHTS OF THE CHILD</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>68</div></div></div><div><div><div></div><div>P_i</div><div>PLAY</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>69</div></div></div><div><div><div></div><div>G_t</div><div>GOOD TIMES</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>70</div></div></div><div><div><div></div><div>S_w</div><div>SWIMMING WITH PILES</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>71</div></div></div><div><div><div></div><div>Q</div><div>QUEER</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>72</div></div></div><div><div><div></div><div>C_t</div><div>COMMUNITY</div></div></div></div></div>				
<div><div><div><div><div></div><div>69</div></div></div><div><div><div></div><div>B_a</div><div>BALANCE</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>73</div></div></div><div><div><div></div><div>P_v</div><div>POLITICS AS VOCATION</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>74</div></div></div><div><div><div></div><div>C_t</div><div>CRITICAL THINKING</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>75</div></div></div><div><div><div></div><div>P_s</div><div>PUBLIC SPACE</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>76</div></div></div><div><div><div></div><div>P_d</div><div>PADDLING</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>77</div></div></div><div><div><div></div><div>R_a</div><div>ROOFTOP ALLOTMENTS</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>78</div></div></div><div><div><div></div><div>R_x</div><div>RELAX</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>79</div></div></div><div><div><div></div><div>R_w</div><div>REWILDING</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>80</div></div></div><div><div><div></div><div>U_{sc}</div><div>UNIVERSAL SKIN CARE</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>81</div></div></div><div><div><div></div><div>L_i</div><div>LIFELONG LEARNING</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>82</div></div></div><div><div><div></div><div>F_x</div><div>FINANCIAL TRANSACTION TAX</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>83</div></div></div><div><div><div></div><div>P_f</div><div>THE PLEASE FORCE</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>84</div></div></div><div><div><div></div><div>I_{fg}</div><div>INTERESTS OF FUTURE GENERATIONS</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>85</div></div></div><div><div><div></div><div>T_h</div><div>THERAPY</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>86</div></div></div><div><div><div></div><div>G_d</div><div>GOOD DEATHS</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>87</div></div></div><div><div><div></div><div>U_p</div><div>UNUSUAL PEOPLE</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>88</div></div></div><div><div><div></div><div>+</div><div>PLUS</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>89</div></div></div><div><div><div></div><div>C_e</div><div>CHANGE ENCOUNTERS</div></div></div></div></div>				
<div><div><div><div><div></div><div>1</div></div></div><div><div><div></div><div>FUNDAMENTALS</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>2</div></div></div><div><div><div></div><div>MICROPOLITICS</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>3</div></div></div><div><div><div></div><div>IMAGINARIUM</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>4</div></div></div><div><div><div></div><div>CIVIL CITIES</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>5</div></div></div><div><div><div></div><div>SELF-PROLIFUSION</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>6</div></div></div><div><div><div></div><div>URBAN BOTANICALS</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>7</div></div></div><div><div><div></div><div>CIRCULAR ECONOMY</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>8</div></div></div><div><div><div></div><div>ZERO CARBON</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>9</div></div></div><div><div><div></div><div>UNIVERSAL WELFARE</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>10</div></div></div><div><div><div></div><div>LIFEWOR</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>11</div></div></div><div><div><div></div><div>TAX JUSTICE</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>12</div></div></div><div><div><div></div><div>UNINHIBITED EMPLOYMENT</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>13</div></div></div><div><div><div></div><div>THE RIGHT STUFF</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>14</div></div></div><div><div><div></div><div>FOOD FOR THE SOUL</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>15</div></div></div><div><div><div></div><div>COLLECTIVE ENERGY</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>16</div></div></div><div><div><div></div><div>MINE ALL PINE</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>17</div></div></div><div><div><div></div><div>HOW TO SO QUEER</div></div></div></div></div>	<div><div><div><div><div></div><div>18</div></div></div><div><div><div></div><div>SOURCES OF INTIMACY</div></div></div></div></div>				

©David Goldblatt www.feasibleutopias.org

ي لست متأكدًا تمامًا من مصدر فكرة الجدول الدوري، لكنني أعزوها إلى جنون الإغلاق (lockdown madness). ومع ذلك، أعلم أنه تضمن العديد من العناصر. لقد تعرّضت إلى هذه العبارة أول مرة في موسوعة في طفولتي، وأتذكر متعة التصميم البصرية التي شعرت بها عند رؤية صفوف المستطيلات الملونة وتسمياتها الغامضة. وبصفتي طالبًا سابقًا في الكيمياء، أكن احترامًا وانبهارًا تجاه أناقة الجدول العلمية والفكرية. وكقارئ لكتاب الجدول الدوري لبريمو ليفي، سعدتُ برؤية كيف يمكن للجدول أن يتحوّل إلى مساحة غنية بالاستعارات، شبكات تجمع بين بنية الإلكترونيات والبنية العاطفية في الوقت نفسه.

بالطبع، لا يعوز الإنترنت جداول دورية بديلة - إبحث وستجد القهوة، واليوركشاير، والسباب، بعضها مضحك وبعضها غير ذلك - لكن منديليف يستحق أفضل من ذلك. وماذا لو سعينا إلى شيء أعمق؟ شيء أكثر مفاجأة؟ كنت أفكر في المانيفستات - الفنية، الشعرية، والسياسية، وغيرها - وتساءلت عما إذا كانت في عصر قصور الانتباه وتشتت الوعي، طويلة جدًا، نصية جدًا، وخطية جدًا حتى تصمد. فما شكل مانيفست لليوتوبيا في عصر إنستغرام؟ وتمثّلت إجابتي، وهناك

«الجدول الدوري ليوتوبيا قابلة للتحقق» هو عمل تركيبي فني لديفيد جولدبلات يستبدل العناصر الكيميائية بمكونات مجتمع مرغوب فيه وقابل للتحقق واقعيًا.

نبتكره لهم. ثم طبعنا بطاقتين بريديتين لذلك العنصر، أهديناهم واحدة، وعلّقنا الأخرى على الجدار لإنشاء عمل فني ثانٍ: الجدول الدوري الشعبي لليوتوبيا الممكنة.

كان مايكل بوراوي متحمساً جداً لفكرة الجدول الدوري لليوتوبيا الممكنة، معتبره تمثيلاً بصرياً لـ «اليقظات الواقعية» real utopias لإريك أولين رايت. أظن أن مايكل كان سيعجب بهذه النسخة التفاعلية والشعبية، خصوصاً المحادثات الغربية والحميمية وغير التقليدية مع الناس حول شكل العالم الممكن، وغالباً مع أشخاص لم تتح لهم الفرصة للتفكير باليوتوبيا بالقدر الذي يرغبون فيه. وأعتقد أن هذا ينطبق علينا جميعاً على الأرجح. ■

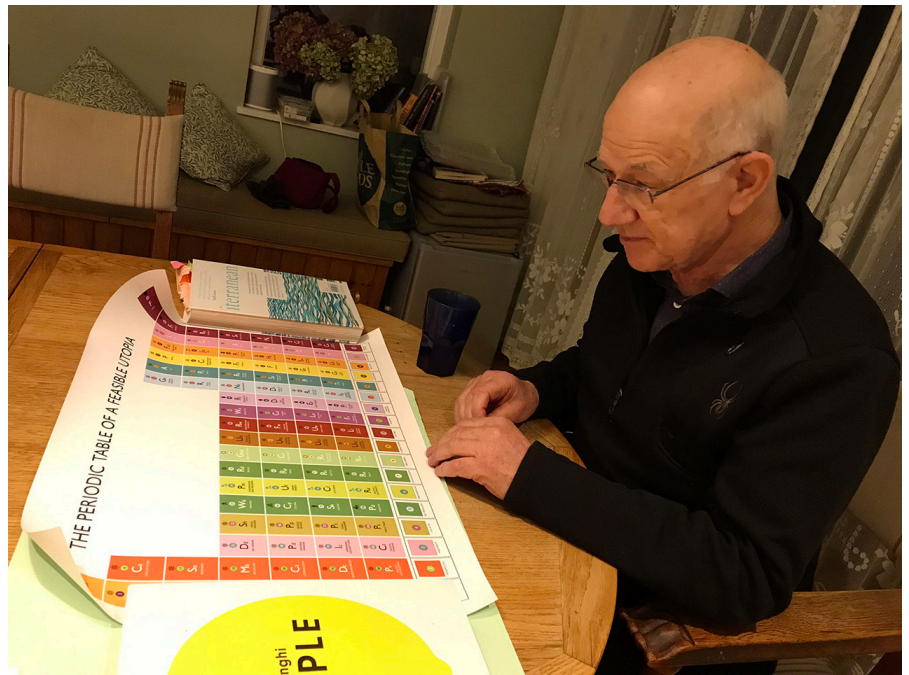
توجّه كل المراسلات إلى ديفيد جولدبلات على البريد الإلكتروني tobaccoathletic@yahoo.co.uk

الكثير من الإجابات الأخرى التي لم تُكتشف بعد، في الجدول الدوري لليوتوبيا الممكنة.

بدأ الجدول حياته الأولي بالقلم الرصاص في دفتر رسم، ثم تحوّل إلى الشكل الرقمي، ثم طُبِع على الورق المقوى وعلّق لفترة قصيرة على جدار واسع أتاحه لي أحد المشاريع الفنية. ثم لاحقاً، كنت أصنع ملصقات، مثل تلك التي ترى مايكل منغمساً في مراجعتها، وأعرض الجدول في محل فارغ بمركز تجاري مهم في وسط بريستول.

حوّلنا المحل إلى صيدلية أطلقنا عليها اسم الكيمياء اليوتوبية ودعونا الجمهور لاستكشاف الجدول الدوري. وإذا بقي الزائرون، اقترحنا عليهم أننا لا نملك احتكار الحكمة. هل هناك عنصر في رؤيتهم لليوتوبيا يودون إضافته؟ وإن فعلوا، كنا

مايكل بوراوي يتأمل باهتمام ملصق «الجدول الدوري ليوتوبيا قابلة للتحقق» في لندن، عام ٢٠٢٤



دُعِي زوّار العمل التركيبي الفني «الجدول الدوري ليوتوبيا قابلة للتحقق»، الذي أُقيم في مركز تسوّق بمدينة بريستول في المملكة المتحدة، إلى إضافة مقترحاتهم الخاصة بهدف إنشاء «جدول دوري شعبي» ثانٍ.

< وقت

لعلم الاجتماع

من قبل الرابطة الدولية لعلم الاجتماع

في مرحلة يروج فيه قادة الدول إلى تقويض الثقة بالعلم، وتفاقم فيه الهجمات ض العلوم الاجتماعية و تتراجع فيه الثقة بالخبرة الأكاديمية، وتنامي الصراع حول شرعية إنتاج المعرفة وتوجيهها،

في مرحلة تنتشر فيه الأخبار الزائفة على نطاق أوسع بتأثيرها الأبلغ من التحليلات القائمة على البحث العلمي،

في مرحلة يعمل فيه قادة سياسيون على نشر خطاب الكراهية، وإنكار حق شرائح من الساكنة في المواطنة الكاملة،

في مرحلة تتجدد فيه ممارسات نزع الإنسانية عن فئات اجتماعية بأكملها لتكون أداة واسعة الاستخدام لترسيخ نفوذهم وتعزيزه،

في مرحلة يتم فيه نكران الدليل العلمي بهدف أجل استبعاد حالات الطوارئ البيئية والمجتمعية،

في مرحلة تصاعد فيه سياسات قمع الأصوات التي تُدين الإبادة والعنف البنيوي والتمييز العنصري،

في مرحلة يشهد فيها العالم تركّزاً غير مسبوق للثروة، بما يمكن عدداً محدوداً من أصحاب الثروات الضخمة من بسط نفوذهم على وسائل الإعلام الجماهيرية ومنصات التواصل الاجتماعي،

في مرحلة تواجه فيه الإنسانية أزمات عالمية مترابطة ستؤثر في مصائر الأجيال القادمة و مستقبلاتهم،

في مرحلة تتعرض فيه الحرية الأكاديمية لتهديدات متصاعدة، حتى داخل الديمقراطيات الراسخة،

نعتقد أنّ الإسهامات النقدية التي يقدمها علماء الاجتماع أضحت، في المرحلة الراهنة، ضرورة معرفية ملحة.

ونجدد التأكيد على القيم والمبادئ والالتزامات الجوهرية التي تشكل أساس عملنا وعمقه بصفتنا باحثين وأعضاء هيئة تدريس و مثقفين عامين،

نلتزم ب :

- سوسيولوجيا صارمة تقوم على الحقائق والتحليل المنهجي، وترفض السرديات المبسطة وتحتضن تعقيدات العالم وتنوعه ،
- سوسيولوجيا مستقلة تذكرنا بأن الخطاب السلطوي لا يُكتسب مصداقيته بالترار، و لا تزيد الكذبة بتكرارها إلا رسوخاً في الباطل،
- سوسيولوجيا نقدية يطرح تساؤلات منهجية حول تصاعد أشكال عدم المساواة و يواجه أسطورة الرجل الذي يصنع ذاته بنفسه، وحول التركيز المبسط على الأسواق والاستهلاكية، وصور هيمنة الذكورة (Alpha Masculinity) ،
- سوسيولوجيا عمومية يشارك في النقاشات المدنية لا من قاعدة التفوق المعرفي، بل عبر حوار متكافئ مع الفاعلين الاجتماعيين الساعين إلى التغيير والدفاع عن الصالح العام،
- سوسيولوجيا عمومية تقاوم النزعات نحو التخصصية المفرطة والتفتت المعرفي، وتتناول القضايا الملحة لعصرنا،
- سوسيولوجيا كونية يستفيد من الباحثين والفاعلين الاجتماعيين في مختلف مناطق العالم لفهم تحديات القرن الحادي والعشرين والاستجابة لها، ويسهم في بناء حس إنساني مشترك.

نؤمن إيماناً راسخاً بأن العلوم الاجتماعية والحرية الأكاديمية جزء لا يتجزأ من الحياة الديمقراطية، تتوجب حمايتهما وتعزيزهما.

ونؤمن بأن النقاش العام القائم على معرفة تاريخية ورؤية سوسيولوجية دقيقة يمثل عنصراً أساسياً لفهم أزمات عصرنا والتعامل معها.

نحن على قناعة بأن علم الاجتماع لا يقتصر على تفسير الظواهر الاجتماعية فحسب، بل يقدم إطاراً منهجياً لتصور وبناء مستقبل يتميز بالعدالة الاجتماعية، والكرامة الإنسانية، والاستدامة البيئية، والتعايش السلمي.

وفي زمن تغرّ المناخ والحروب وتصاعد اللامساواة وخطابات الكراهية، تغدو السوسيولوجيا أداة لا غنى عنها لضمان إمكانية العيش المشترك على كوكب محدود الموارد. قدّم رئيس الجمعية الدولية لعلم الاجتماع (ISA)، جيفري بلييرز، هذا البيان خلال المنتدى الخامس للجمعية المنعقد في الرباط بتاريخ ٦ يوليو ٢٠٢٥. ويحظى البيان بدعم الرؤساء السابقين للجمعية، وهم: ساري حنفي، مارجريت أبراهام، وميشيل وفيغورا؛ بالإضافة إلى نواب الرئيس الحاليين: أليسون لوكونتو، باندانا بوركاياثا، إيلينا أويناس، ومارتا سولير. كما حظي البيان بدعم قادة الجمعيات العلمية الدولية الأخرى، وهم: كاجا غادوسكا، رئيسة الجمعية الأوروبية لعلم الاجتماع (ESA)، وخيسوس دياز، رئيس الجمعية اللاتينية الأمريكية لعلم الاجتماع (ALAS)، وبابلو فومارو، رئيس المجلس اللاتيني الأمريكي للعلوم الاجتماعية (CLACSO) ■

الرباط، يوليو ٢٠٢٥

نقوم بجمع التأييدات من علماء الاجتماع الأفراد ومن أعضاء المجتمع الأوسع للعلوم الاجتماعية. ندعوكم إلى المشاركة بإضافة أسمائكم إلى هذا البيان الجماعي الذي يجسّد الالتزام المشترك والتضامن الأكاديمي. [filling out this form](#).

